
روايات مصرية للجيب
6
حرب الجواسيس
د. نبيل فاروق
عملية الكود ألفا

## حرب الجواسيس

لم يخل العالم ، ولن يخلو أبدًا ، من حرب ما ..

فى مكان ما ..

وزمن ما ..

حـروب يتقاتل فيها جنود ، وتتصادم فيها أسلحة ومعدات ، وتسيل معها الدماء أنـهارًا .

ولكـن هناك ، فى كل وقت ، وكل مكان ، حربًا أخرى ، قد تبدأ وتنتهى ، دون أن يشعر بـها سوى أصحابـها فحسب ..

حرب تحتاج إلى القوة ، والبراعة ، والذكاء ، و ... والمعرفة ..

فهى حرب تدور فى عالم سرى وخاص للغاية ..

حرب العقول ..

والجواسيس ..

كل الجواسيس

د. نبيل فاروق



# قواعد اللعبة .. ( قصة واقعية )

بعد رحلة طويلة نسبيًا ، توقَّف القطار القادم من ( سويسرا ) عبر ( لكسمبورج ) ، عند الحدود الألمانية ، فى ذلك المساء ، من ليالى أغسطس ١٩٤٠ م ، ذروة الحرب العالمية الثانية ، التى أشعلها الرايخ الثالث فى ( أوروبا ) بأفكاره النازية ، وديكتاتورية زعيمه ( أدولف هتلر ) ، وعلى الرغم من أن معظم ركاب القطار كانوا يتمتعون بالجنسية السويسرية المحايدة ، التى لا ناقة لها فى الحرب ولا جمل ، إلا أن التوتر سرى فى ملامحهم وأجسادهم ، وخفق مع دقات قلوبهم ، عندما صعد رجال الجيش النازى إلى القطار ، وعلى رأسهم ضابط من ضباط ( الجستابو ) ، بزيه الأسود المخيف ، وذلك الصليب المعقوف حول ذراعه ، وراحو يرمقون الكل بنظرات قاسية صارمة فظة ، تحمِل ألف اتهام واتهام ، حتى للنساء ، والشيوخ والأطفال ..

كان تفتيشًا روتينيًا حدوديًا حتميًا ، فى زمن الحرب ، إلا أن النازيين كانوا يبالغون فى القيام به أية مبالغة ، ويلقون القبض على كل من تراودهم ولو ذرة شك واحدة بشأنه ، ليتعرَّض إلى استجواب سخيف عنيف ، قد يضطره ، فى أحسن الأحوال ، إلى العودة إلى ( سويسرا ) ، وهو يحمد الله ( سبحانه وتعالى ) ويشكره ، لأنه لم يلق فى سجون ( برلين ) الرطبة المظلمة ..



ومع فوهات المدافع الآلية ، والنظرات الصارمة القاسية ، تجمَّد الركاب فى مقاعدهم ، وراحوا يتابعون حركة النازيين فى حذر ، وعينا ضابط ( الجستابو ) الشاب ، بارد الملامح ، تفحص وجوههم ، وترصد حركاتهم وسكناتهم ، وحتى ارتجافة جفونهم ، و ...

وفجأة ، توقَّف ضابط ( الجستابو ) ، عند رجل وقور ، فى منتصف الأربعينات من عمره ، يرتدى معطفًا سميكًا ، له أزرار كبيرة مستديرة ، وانعقد حاجباه فى شدة وقسوة ، بدت واضحة فى صوته ، وهو يسأله :

ـ ما اسمك وجنسيتك ؟!

بدا الرجل مضطربًا متوترًا ، شأن أى شخص عادى فى ظروف مماثلة ، وغمغم فى عصبية :

ـ اسمى ( جون أندرسن ) ، وأنا سويسرى الجنسية ، والمفترض أن دولتنا محايدة و ...

قاطعة ضابط ( الجستابو ) بمنتهى القسوة :

ـ ولماذا ترتدى معطفًا بريطانى الصنع ؟!

بدت الدهشة على السويسرى ، وهو يغمغم مضطربًا :

ـ أهذه جريمة ؟!

صاح فيه الضابط ، بكل صرامة وقسوة الدنيا :

ـ أجب السؤال .

ارتبك السويسرى أكثر ، وبدا لباقى الركاب أن الموقف سيتوتر أكثر وأكثر ، عندما أجاب الرجل ، وكلماته ترتجف على شفتيه :

ـ أعلم أن المعاطف الألمانية ممتازة ، ولكن هذا المعطف رخيص الثمن ، ومصنوع من صوف جيِّد ، و ...

قاطعه ضابط ( الجستابو ) ، بصرخة هادرة مباغتة ، وهو يستلُّ مسدسه الضخم ، على نحو انتفضت معه أجساد الركاب جميعهم ..

ـ هراء ..

ثم ألصق فوهة مسدسه الباردة بصدغ الرجل ، وهو يجذبه من معطفه بقسوة وخشونة ، مستطردًا :

ـ من سوء حظك أننا نحفظ هذه اللعبة جيِّدًا ، ونعرف ما الذى يعنيه ارتداء معطف كهذا .

وانقضَّت أصابعه القاسية بغتة ، على أزرار المعطف ، مضيفًا :

ـ بأزرار كهذه .



ارتجف جسد الوقور فى عنف ، وبدا وكأن خصلات شعره قد ازدادت شيبًا ، من فرط الرعب ، وهو يهتف :

ـ وما عيب الأزرار ؟! سأستبدلها بأزرار ألمانية ، لو أن هذا يريحكم .

ألصق ( الجستابو ) فوهة مسدسه بصدغه أكثر ، وهو يدير أحد الأزرار الكبيرة بأصابعه ، قائلاً :

ـ لا تتظاهر بالبراءة والسذاجة يا رجل .. نحن محترفون ، ونعلم جيِّدًا ما يمكن إخفاءه ، فى أزرار كبيرة مجوَّفة كهذه ، و ...

وفجأة .. بتر عبارته ، وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، وانتقلت أصابعه بحركة حادة وعصبية إلى زر ثان .. ثم ثالث .. ثم الرابع والأخير ..

وبعدها احتقن وجهه فى شدة ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ عجبًا .. المفترض أن ...

بتر عبارته مرة أخرى ، وتراجع بحركة حادة ، فلملم الوقور معطفه ، وهو يقول بكلمات مرتجفة مذعورة :

ـ هل .. هل تريدون منى التخلُّص من الأزرار ، أم من المعطف كله ؟!

اعتدل ضابط ( الجستابو ) ، وقال فى عصبية :

ـ لا تتخلص من شىء .

وأعاد مسدسه إلى غمده ، وهو يشيح بوجهه عن الرجل ؛ ليواصل جولته فى القطار ، وما أن انتهى منها حتى غادره ، وهو يشير إلى سائقه بمواصلة السير ..

وتحرك القطار نحو ( برلين ) ، وما أن تجاوز الحدود ، حتى مالت عجوز تجاور الوقور على أذنه ، هامسة :

ـ لا تخجل من ذعرك .. لقد كان يواجهك أنت ، وكاد قلبى أنا يتوقف من شدة الرعب .

منحها الوقور ابتسامة مجاملة ، لم تخل من التوتر ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، ويسبل جفنيه وكأنما يحاول إزالة انفعالات اللحظات السابقة ، ولكن الواقع أن المشاعر التى تدور فى أعماقه كانت تختلف عما تصوره كل ركاب القطار بلا استثناء ..

تختلف تمامًا ..

ففى أعمق أعماقه ، كانت تجلجل ضحكة ..

ضحكة ساخرة ظافرة عالية ..

وإلى أقصى حد ..



هذا لأن ما حدث منذ لحظات ، كان مجرد اختبار ..

اختبار لتقنية جديدة ، فى العالم الذى يحوى دومًا كل جديد وغامض ومثير ..

عالم الجاسوسية ..

فمع بداية الحرب العالمية الثانية ، كان من الطبيعى أن تنشط المخابرات البريطانية ، المعروفة باسم المكتب السادس ، أو ( MI 6 ) ، لجمع المعلومات من كل اتجاه ، ونقلها من وإلى ( برلين ) ، عبر مسارات شتى ، تتصل وتنقطع ، وفقًا لنشاط جهاز مكافحة الجاسوسية الألمانى ( الجستابو ) ، أو المخابرات الألمانية (SD ) ..

ولأن الأمور لم تكن متطورة ، كما هى الآن ، كان من الضرورى البحث عن أساليب ووسائل بسيطة وذكية ، لنقل الوثائق و( الميكروفيلم ) ، بحيث تمر تحت أنف الألمان ، دون أن تثير شكوكهم أو شبهاتهم ..

والحقيقة أن البريطانيين قد برعوا كثيرًا فى هذا المضمار ، على الرغم من أن كل ما استخدموه من تقنية بسيطة ، يعتبر الآن ساذجًا للغاية ، إلا أنه كان فى أيامها لمحة من العبقرية الحقيقية ، فقد استخدموا مقبض المظلة ،

كمخبأ سرى ، لإخفاء ( الميكروفيلم ) ويد المظلة لإخفاء الوثائق والصور ، والولاعات وعلب السجائر وحقائب النساء كتعمية لآلات التصوير الصغيرة ..

وبين كل هذا ، كانت خدعة أزرار المعاطف المجوفة ..

ففى تلك الأيام ، كانت المعاطف تصنع من صوف ثقيل ، وتزود بأزرار كبيرة ضخمة ، وجد رجال المخابرات البريطانية أنها يمكن أن تحوى تجويفًا كافيًا ، لإخفاء ( ميكروفيلم ) ، دقيق ، لذا فقد بدءوا فى صناعة أزرار معاطف خاصة ، تحوى التجويف المطلوب ، وأمكنهم استغلالها بنجاح ، طوال النصف الأول من عام ١٩٤٠م ، لنقل ( الميكروفيلم ) ، الذى يحوى التعليمات أو المعلومات ، من وإلى ( برلين ) ، تحت سمع وبصر رجال ( الجستابو ) ..

ثم سقط جاسوس بريطانى ، فى قبضة النازيين ..

ومع سقوطه ، انكشف سر التقنية البريطانية العبقرية ، البسيطة الناجحة لنصف عام كامل ..

وجن جنود الألمان ،عندما أدركوا الخديعة ، وعندما علموا أن المعلومات كانت تنتقل ، تحت سمعهم وبصرهم طوال الوقت ، فى صورة بريئة أنيقة ، بل وفاخرة أيضًا ، فى بعض الأحيان ..



وأصابتهم عقدة أزرار المعاطف الكبيرة ، فراحوا يهاجمون كل من يرتديها ويديرونها بأصابعهم إلى اليسار ، فانفتحت بعضها ، وكشفت ما بداخلها ، وسقط عدد آخر من الجواسيس البريطانيين ..

وفى المخابرات البريطانية ، أدرك الرجال أن لعبتهم قد انكشفت ، وأسفوا كثيرًا لفقدان وسيلة مدهشة كهذه ، وكان عليهم أن يعتصروا أذهانهم ، للبحث عن وسيلة جديدة ، بنفس براعة الوسيلة السابقة ، ونفس بساطتها وشكلها الخدّاع ..

وفى ذلك الوقت كان هناك شاب من أسرة بريطانية عريقة ، يعمل فى مخابرات البحرية ، ويملك عقلاً مدهشًا ، وخيالاً جامحًا ، كثيرًا ما استفز رؤساءه ، الذين يفاجئون بعدها بأنه قابل للتنفيذ ، بل وناجح أيضًا إلى درجة مدهشة ..

والطريف أن الرئيس المباشر لذلك الشاب ، كان يثق فى عقليته وأفكاره المبتكرة ثقة مطلقة ، على الرغم من معرفته بتاريخه الطويل ، الذى حمل أمثله موجعة على الاستهتار واللامبالاة ، والعبث الذى اشتهرت به طبقة النبلاء الرفيعة فى ( إنجلترا ) ..

ومن منطلق هذه الثقة ، عرض رئيسه الأمر ، وسأله :

ـ هل تعتقد أن باستطاعتك ابتكار وسيلة بارعة مماثلة يا ( فليمنج ) ؟!

صمت الشاب ( آيان فليمنج ) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إلى رئيسه المباشر ، الذى تربطه صداقة وثيقة بعائلته ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ بكل تأكيد .

ابتسم رئيسه ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ دعنا نرى عبقريتك إذن .

نطقها بلهجة عجيبة بين السخرية والتقدير فى مزيج يصعب تقليده ، أو حتى إلقائه ، لكن ( فليمنج ) الشاب لم يبال ، إذ كان هو أيضًا من ذلك الطراز ، الذى يجمع فى أعماقه بين الغرور والثقة ، والأعصاب الباردة كالثلج ، لذا فقد حمل السؤال إلى حجرة مكتبه الصغيرة ( جدًّا ) ، وحمل معه أحد تلك الأزرار المجوفة ، وراح يغلقه ويفتحه ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، ويعتصر خلايا مخه الرمادية ، فى تحدٍّ خص به نفسه ، لمواجهة هذا الأمر البسيط ..

كان يحتاج إلى فكرة بسيطة ، وواضحة ، وأنيقة ..

وعبقرية أيضًا ..



ولقد راح يفكِّر ، ويفكِّر ، ويفكِّر ، و ...

وفجأة ، قفز من مقعده ، وقد سطعت فى ذهنه فكرة مدهشة ، وأمسك الزر الأجوف الكبير ، وأخذ يحدِّق فيه لحظة ، قبل أن يختطف ورقة وقلمًا ، ويدوِّن فكرته ، ثم يعدو إلى مكتب رئيسه المباشر ، ليعرضها عليه ..

وكما يحدث فى كل مرة ، استنكر رئيسه الفكرة تمامًا فى البداية ، واستهجنها ، ووصفها بأنها تافهة وسخيفة ، وستنكشف من اللحظة الأولى ، إلا أن ( فليمنج ) الشاب كان عنيدًا مثابرًا ، لذا فقد راح يؤيِّد فكرته ويضرب أمثلة عليها ، ويشرحها ، حتى اقتنع بها رئيسه تمامًا ، وقرَّر عرضها على رجال المكتب السادس فورًا ..

وفى مساء اليوم نفسه ، وبناءً على طلب ضابط المخابرات البحرية البريطانى ، تم عقد اجتماع خاص ..

وفى الاجتماع ، شرح الرجل فكرة ( آيان فليمنج ) ..

شرحها بنفس الاقتناع الحماسى اللذين شرحهما بها الشاب نفسه ، عندما كان فى مكتبه ، قبل ساعات مضت ..

والواقع أن الأمر بدا كالصدمة ، على وجوه الرجال ..

لقد وجموا جميعًا ، على نحو عجيب ، وانسدلت عليهم ستارة من الصمت ، وعيونهم كلها تحدِّق فى ضابط المخابرات البحرية ، الذى بدا له هذا أشبه باستهجان صامت ، ستعقبه حتمًا عاصفة

من اللوم والتقريع، لأنه أضاع وقتهم الثمين فى فكرة حمقاء كهذه ..

ولكن سير (سنكلير)، أشهر وأبرع رجال المخابرات البريطانية وأعرقهم، فى ذلك الحين، كان أول من رفع ستارة الصمت، وهو يقول :

ـ فكرة عبقرية .

هنا فقط، تنفَّس ضابط المخابرات البحرية الصعداء، واستعاد حماسه الأولى، وهو يهتف :

ـ وبسيطة أيضًا .

أضاف رجل آخر :

ـ ولن تخطر ببال الألمان أبدًا .

أشار سير ( سنكلير ) بيده، قائلاً :

ـ لا يمكنك الجزم .

مع عبارته، انسدلت ستارة الصمت مرة أخرى، واستدارت العيون كلها إليه، فتابع فى حزم :

لا بد من تجربة الفكرة عمليًا .

وهكذا تقرَّر وضع فكرة ( آيان فليمنج ) موضع التنفيذ، ودفعها إلى تجربة عملية، من خلال ذلك العميل السويسرى، الذى قدم نفسه لضابط ( الجستابو ) باسم (جون أندرسن) ..



وسافر ( أندرسن )، من ( برن ) إلى ( برلين )، وهو يحمل تلك الوسيلة الجديدة، التى تفتق عنها ذهن (فليمنج).

وواجهه ضابط ( الجستابو ) مباشرة ..

ولكنه لم يكشف أمره .. أبدًا ..

وفور استقراره فى ( برلين )، أبرق ( أندرسن ) إلى عمته فى ( لوزان )، ليطمئنها على وصوله، وكانت هذه البرقية تعنى أن الخدعة قد نجحت، وأن فكرة ( فليمنج ) قد عبرت الحدود بتفوق ..

وعندما استدعى ضابط المخابرات البحرية مرءوسه الشاب، ليبلغه بنجاح فكرته، ابتسم هذا الأخير فى ثقة، قائلاً :

ـ كنت أعلم هذا .

والواقع أن الفكرة كانت مدهشة بحق، إن كل ما فعله (فليمنج) الشاب، هو أن عكس اتجاه فتح الأزرار المجوَّفة ..

فقط عكس الاتجاه، بحيث إنه عندما يحاول الألمان فتحها، يكونون قد أحكموا إغلاقها فى الواقع ..

ولقد اعتمد الشاب فى فكرته هذه، على ما يعرف باسم ( الفعل الشرطى المنعكس )، إذ إن الألمان قد كشفوا خدعة الأزرار المجوَّفة، وتدرَّبوا على كشفها، واعتادت أيديهم

إدارتها إلى اليسار لفتحها ، فور شكهم فى أمرها ، إذن فكل ماعليه هو أن يجعلها تفتح إلى اليمين وليس إلى اليسار ، ولن تنتبه أصابعهم المدرّبة إلى هذا أبدًا ..

ولقد كان تقديره سليمًا إلى درجة مدهشة ، ولم تنكشف خدعة الأزرار التى تفتح عكس اتجاهها ، إلا مع سقوط عميل آخر ، فى أوائل عام ١٩٤٥م ، وقبيل نهاية الرايخ الثالث بأشهر قليلة ..

والمدهش أن ( فليمنج ) ، والذى تحوّل بعد انتهاء الحرب إلى كاتب روائى ، وابتكر أشهر شخصية فى عالم الجاسوسية ( جيمس بوند ) لم يستخدم هذه الفكرة فى رواياته أبدًا ..

ربما لأنها بسيطة للغاية ، على نحو لن يبهر القارئ ، أو المشاهد فيما بعد أو ربما لأنه كان يومًا رجل مخابرات محترفًا ، يدرك جيدًا القواعد .. قواعد اللعبة ..

لعبة الجاسوسية .

* * *

مذكرات

6

رجل مخابرات

# لعبة التوازن




أنا رجل مخابرات ..

واحد من آلاف ، فى كل أنحاء الأرض ، ينتمون إلى عالم خاص ..

خاص جدًا

عالم سرى ، غامض ، لا يمكنك أن تتجاوز الأسوار المحيطة به قط ..

لا يهم من أنا ..

ما جنسيتى ..

أو إلى أية دولة أنتمى ..

فالقواعد واحدة ، فى كل الأحوال ..

القواعد اللازمة لتصنع رجل مخابرات ..

رجل يمكنه أن يصنع من نفسه درعًا ، لحماية دولة بأكملها ..

إذا ما استلزم الأمر ..

ولا تتصوَّر حتى أن مذكراتى هذه قد تصنع منك ذلك الرجل ..

فمهما حوت ، لن تتجاوز كونها مجرَّد كلمات ..

مجرَّد مذكرات رجل ..

رجل مخابرات ..

## ٦ - لعبة التوازن ..

على الرغم من كل ما قرأته ودرسته ، عن أعمال المخابرات ، وقواعد لعبة الجاسوسية ، منذ بدأت عملى كرجل مخابرات ، ومنذ قرَّرت أن أتخصَّص فى مكافحة الجاسوسية ، ومن كل ما رواه لى وجه القنفذ ، وما شرحه لى عريض المنكبين ، لم يكن الانتقال إلى عالم الواقع يسيرًا أو بسيطًا أبدًا ..

فهناك ، فى مكتبى الصغير ، فى إدارة المخابرات ، لقننى وجه القنفذ ، بخبراته الطويلة ، درسًا جديدًا ومهمًّا للغاية ، فى عالم الجاسوسية ..

فبالنسبة إليه ، وبعد أن قرأ ملف قضيتى الأولى ، بمنتهى الاهتمام والعناية ، لم يكن الرجل الذى نسعى خلفه جاسوسًا ، يعمل لحساب دولة معادية ..

على الإطلاق ..

« ولكن كيف ؟! »

هتفت بالسؤال ، بمنتهى الدهشة والاستنكار ، وأنا أراجع فى ذهنى كل ما قرأته فى ملف ذلك الرجل ، من أمور تصمه

إلى الأبد بالخيانة ، وتؤكد دون أدنى ذرة شك ، أنه جاسوس ..

ولكن وجه القنفذ ظل هادئًا رصينًا كعادته ، ولم يتأثر كثيرًا أو قليلاً بانفعالى واستنكارى ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

ـ الدليل .. أين الدليل ؟!

بدا قوله أشبه بصفعة قوية ، هوت على وجهى بمنتهى العنف ، وجعلتنى أرتج فى أعماقى بقوة ، وأنتبه لأول مرة ، إلا أننا لا نمتلك أى دليل مادى ، حتى هذه اللحظة ، يمكن أن يدين الرجل ..

وفى توتر ، قلت لوجه القنفذ :

ـ لدينا هنا طن من القرائن .

هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ كلها لا تساوى شيئًا .

أحنقنى هذا بشدة ، وقلت غاضبًا :

ـ وكيف هذا ؟! لقد ارتكب الرجل عدة أخطاء كبيرة ، لفتت إليه الانتباه ، وتمت مراقبته بدقة ، وتأكدنا تمامًا من أنه يرسل بعض المعلومات السرية ، الخاصة بموقعه شديد الحساسية ، إلى دولة معادية .. كيف تقول عن كل هذا : إنه لا يساوى شيئًا ؟!



ابتسم وجه القنفذ ابتسامة هادئة رصينة كعادته ، وهو يقول :

ـ لو أننا جهاز أمن داخلى ، كالشرطة أو المباحث مثلاً ، لكان هذا يكفى لاعتقال المشتبه فيه ، واستجوابه ، وربما وضعه تحت عدة ضغوط أيضًا ، حتى ينهار ويعترف ، أو يكشف عن أدلة مادية ، تكفى لإدانته قضائيًا .

ثم مال نحوى ، مستطردًا :

ولكن ماذا لو لم ينكشف الدليل ؟!

تراجعت فى مقعدى ببطء حذر ، ودرست السؤال فى ذهنى جيدًا ، قبل أن أجيب فى بطء :

ـ أظننا كنا سنضطر لإطلاق سراحه .

هتف فى حزم :

ـ بالضبط ..

لم أفهم ما يرمى إليه بدقة ، فتطلعت إليه متسائلاً ، مما جعله يتابع ، وقد استعاد رصانته المألوفة :

ـ بالنسبة لأجهزة الأمن الداخلية ، قد يمكن استيعاب أمر كهذا ، باعتبار أنها تواجه عشرات الجرائم يوميًا ، ومن المستحيل أن تبلغ نسبة نجاحها فى حلها مائة فى المائة ،

أو حتى تسعين فى المائة ، ثم إن أجهزة الأمن الداخلية تواجه أشخاصًا ليست لهم سلطة موازية لسلطتها ، فهم إما مواطنون عاديون ، أو حتى مسئولين ، فلن يكونوا أبدًا فوق المساءلة ، لذا فإلقائها القبض على متهم ، تثبت براءته فيما بعد ، أو حتى يصعب إثبات إدانته ، أمر يمكن أن يمضى بأقل خسائر ممكنة ، إذ إن المواطن ، أيًا كان ، يخضع لقوانين دولته ، التى قد تبيح احتجازه للاشتباه ، أو حتى لاستكمال الأدلة ، وأقصى ما يمكن أن يحدث ، هو أن يطالب بتعويض مادى ، لقاء ماتعرّض له من معاملة قاسية أو اتهامات باطلة .

تابعته فى اهتمام ، توقّف لالتقاط أنفاسه ، ثم تابع :

ـ أما بالنسبة لأجهزة المخابرات فالأمر يختلف تمامًا ، إذ إنك ، عندما تتهم شخصًا ما بالخيانة أو التجسس ، إنما تتهم فى الواقع دولة أخرى ، بدس ذلك الشخص بين صفوفك ، لانتزاع ما نخفيه من معلومات .. بمعنى أدق .. الاتهام هنا هو اتهام دول لبعضها البعض ، من خلال أفراد ، يعملون لحساب جهات سيادية عليا فى تلك الدول ، وهذا يعنى أن الخطأ لن يواجهه مجرّد تعويض مادى ، أو اعتذار دبلوماسى ، بل قد يتطوّر إلى أزمات سياسية عنيفة ، يمكن أن تبلغ ، فى بعض الأحيان ، حد إعلان الحرب .



اعتدلت فى مقعدى بحركة حادة ، هاتفًا فى انفعال :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أشار بسبّابته ، مجيبًا :

ـ هناك وقائع تاريخية تؤيّد هذا .

التقى حاجباى ، وأنا أفكر فيما قاله جيدًا ، قبل أن أقول فى حذر :

ـ أنت تعنى إذن ، أنه بدون دليل مادى قوى ، يضمن إدانة الجاسوس والدولة التى يعمل لحسابها ، تصبح القضية كلها وكأنها لم تكن .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

بالضبط ، ففى نظم الأمن الداخلية ، يمكنك أن تلقى القبض على المشتبه فيه أولاً ، ثم تستكمل العثور على الأدلة فيما بعد ، أما مع أجهزة المخابرات ، فأنت تستكمل البحث عن كل الأدلة أولاً ، وعندما تمسكها بقبضتك فى قوة ؛ تنقض على المتهم ، وتلقى القبض عليه .

عدت أتراجع فى مقعدى ، وأنا أقول :

ـ آه .. فهمت .

لقد استوعبت الدرس تمامًا هذه المرة ..

الدليل أولاً ..

الدليل قبل كل شيء ..

وهنا ، بدأت أرى الصورة ، كما يراها وجه القنفذ تمامًا ..

صحيح أننا واثقون من أن ذلك الرجل جاسوس ، ولكننا لا نمتلك الدليل المادى الكافى لإدانته ..

لا بد أن نبذل قصارى جهدنا للبحث عنه إذن ..

وبكل الوسائل الممكنة ..

والواقع أن الدرس ، الذى لقننى إياه وجه القنفذ ، كان له أفضل الأثر ، فى تغيير مسار قضيتى الأولى تمامًا .

فبعد أقل من ساعة ، وعندما بدأ اجتماعى مع فريق العمل ، الذى انتقيته لقضيتى الأولى ، كانت الخطة ، التى وضعها ذهنى فى البداية ، قد تغيَّرت تمامًا ..

لقد تطوَّرت ..

وتبلورت ..

واتضحت ..



وبمعاونة وجه القنفذ ، أصبحت خطة حرفية واحترافية إلى حد مدهش ..

لست أنكر أننى ، فى الدقائق الأولى ، شعرت بشىء من التوتر ، لجلوسى على قمة مائدة الاجتماعات ، ورياستى لطاقم عمل محترف ، فى قضية عملية أولى ، بلا خبرات سابقة ، باستثناء ما قرأته وسمعته وشاهدته ..

ثم بدأنا فى مناقشة العملية ، وراح التوتر يقل ..

ويقل ..

ويقل ..

حتى تلاشى تمامًا ..

تلاشى وانزوى ، أمام اهتمامنا الشديد بمناسبة كل التفاصيل ، وكل المعلومات ، و ...

وفجأة ، ارتدَّ إلىَّ ذلك التوتر كله ..

بل وتضاعف مرتين على الأقل ..

وبمنتهى العنف ..

ارتد عندما وقع بصرى على صورة واحدة ..

صورة الجاسوس مع أسرته ..

مع زوجته .. وابنيه ، وابنته الصغيرة ، التى لم تتجاوز العاشرة من عمرها بعد ..

كانوا جميعهم يبتسمون ابتسامة كبيرة رقيقة ..

ابتسامة أسرة سعيدة ..

أسرة عائلها جاسوس ، خائن ، يبيع أسرار وطنه لأعدائه ..

ومن الواضح أن وجه القنفذ قد لاحظ ما أصابنى ، إذ اعتدل قائلاً فجأة ، فى حزم شديد :

ـ قرارك يا سيّدى .

أدركت لحظتها أنه يستحثنى على المقاومة ، وتجاوز مشاعرى الشخصية ، واتخاذ القرار ببدء العملية ..

القرار الذى لا بد أن يتخذه أى قائد ، فى أية معركة ، بغض النظر عن مشاعره وانفعالاته الشخصية ..

القرار ، الذى يضع المصلحة العامة وأمن الوطن ، فوق كل اعتبار ..

مهما كانت الأسباب ..



وبكل ما تبقى لى من حزم وحسم ،اعتدلت فى مقعدى ، قائلاً :

ـ سنبدأ التنفيذ على الفور .

وعلى الرغم من الألم ، الذى يعتصر قلبى وصدرى ، بدأت فى توزيع الأدوار على أفراد الفريق ، لمراقبة الرجل ، وتتبعه ، وزرع أجهزة التنصُّت والمراقبة فى مكتبه ، ومنزله ، وسيارته ..

وحتى فى ثيابه الشخصية ، لو اقتضى الأمر ..

وانفض الاجتماع ، وعدت إلى مكتبى ، حاملاً معى صورة أسرة ذلك الجاسوس ، ووضعتها أمامى ، ورحت أتطلّع إليها و ...

« خطأ ! »

نطق عريض المنكبين الكلمة فى مرح عجيب ، وهو يلف إلى مكتبى ، وابتسامته العريضة تملأ وجهه كالمعتاد ، ولوَّح بسبَّابته أمام وجهه ، وهو يجلس على المقعد المقابل لمكتبى ، متابعًا :

ـ لا تسمح لهذا بالحدوث أبدًا .

تنهّدت ، قائلاً :

ـ من الواضح أن المعلومات تبلغك بسرعة .

هزّ كتفيه ، وقال بنفس الابتسامة المرحة :

ـ أمر طبيعى ، فأنا المشرف رسميًا ، على قضيتك الأولى .

تراجعت هاتفًا ، فى دهشة كبيرة ، حملت على الرغم منى لمحة من الاستنكار :

ـ مشرف رسمى ؟!

انطلقت من صدره ضحكة مرحة صافية ، قبل أن يقول :

ـ اطمئن .. هذا لا يعنى تدخُّلى فى عملك ، أو انتزاع قيادتك التامة لقضيتك الأولى .. إننى أتابع ماتقوم به فحسب حتى يتم تقييمك للعمليات القادمة .

انعقد حاجباى ، وأنا أقول :

ـ هو أخبرك .. أليس كذلك ؟!

أدرك على الفور أننى أشير إلى وجه القنفذ ، فابتسم ، وهو يقول :



ـ مطلقًا .. إنه يعمل ضمن فريقك الآن ، ولن يبلغ أى مخلوق آخر بما يدور داخل حجرة اجتماعاتكم أبدًا .

ثم مال ، وغمز بعينيه ، متابعًا :

ـ هذا يخالف قواعد العمل السرى تمامًا .

ازداد انعقاد حاجبىَّ ، وأنا أسأله ، فى شىء من العصبية :

ـ كيف عرفت إذن ؟!

ضحك مرة أخرى ، وهو يشير إلى الصورة ، قائلاً :

ـ هذه الصورة ضمن أوراق قضيتك ، ولو نظرت خلفها ، فستجد ختمًا يشير إلى هذا ، ويخص المسئولين عن حفظ الملفات السرية ، وفور (دخولى) لاحظت هذا الختم فورًا ، ورأيت نظرة التأثر فى عينيك .

وعاد يغمز بعينه ، مستطردًا :

ـ والأمر بعد هذا ، لايحتاج إلى الكثير من الذكاء .

حاولت أن أبتسم ، وأنا أقول :

ـ بالضبط .

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يتطلّع إلى وجهى مباشرة ، قبل أن يقول فى جدية :

ـ من الأمور التى ينبغى أن تدركها جيدًا ، عندما تنزل إلى ميدان القتال ، أو إلى رقعة شطرنج الجاسوسية ، كما نسميها هنا ، أن خصمك مثلك .. بشر .. شخص يحيا مثل أى شخص آخر .. شخص له مهنة ، وأسرة وعلاقات واتصالات اجتماعية .. الفارق الوحيد ، بينك وبينه ، هو أنه اختار طريق الخيانة ، وأنت اخترت طريق الشرف .. ولأنه اختار طريقه بإرادته ، فهو يستحق كل ما يترتب على اختياره هذا ، وكل ما يؤدى إليه الطريق ، الذى يسير فيه طوال الوقت .

ثم مال نحوى ، متابعًا :

ـ وعندما تتخذ قرارًا بسجن الجاسوس ، أو اعتقاله ،



أو حتى تصفيته ، لا بد أن تؤمن تمامًا بأنك تؤدى واجبك ، وتحقّق العدالة .. كذلك يفكّر القاضى على منصته ، وهو يصدر حكمًا بالإعدام على قاتل ، أو آخر بالسجن المؤبد على تاجر مخدرات ، أو حتى ثالث بالسجن المؤقت على شاب وسيم أنيق ، اغتصب فتاه بريئة ، دون رحمة أو شفقة ..هكذا يفكّر الجندى فى ساحة القتال ، عندما يصوب سلاحه إلى صدر عدوه ، ويطلق عليه النار ، دون تردّد أو خوف .. كلهم يدركون أن من أمامهم هو بشر مثلهم ، ولكنهم يثقون تمامًا فى أن ما يفعلونه هو العدل .

غمغمت فى خفوت :

ـ وماذا عن الرحمة ؟!

بدا شديد الجدية والصرامة ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ لا رحمة مع العدو .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليتابع :

ـ فالرحمة ينبغى أن توجّه إلى الضحية ، وليس إلى المجرم .. الرحمة لا ينبغى بذلها دون ترشيد ، وإلا لأدّت إلى فوضى عارمة ، لا يمكنك السيطرة عليها فيما بعد .

أطلقت كل مشاعرى وانفعالاتى فى زفرة حارة ، قبل أن أقول :

ـ أنت على حق .. كل شىء ينبغى أن يتوازن ، حتى يستقيم الكون .

ابتسم وهو يسألنى :

ـ هل ستؤدى عملك كما ينبغى ؟!

أجبته فى حزم :

ـ بالتأكيد .

تابع ، وهو ينهض :

ـ ودون أن تسمح لمشاعرك الشخصية بالتدخُّل ؟!

أجبته ، وأنا أنهض بدورى :

ـ أعدك بهذا .



صافحته فى حرارة ، وقال وابتسامته تتسع :

ـ كنت واثقًا من هذا .

واستدار ليغادر مكتبه ، ثم توقف فجأة ، وعاد يلتفت إلىَّ ، وهو يتساءل فى اهتمام :

ـ أخبرنى .. ماذا ستفعل بذلك الجاسوس ، بعد أن تمتلك الدليل المادى ، وتوقعه فى قبضتك ؟!

قلت فى حزم ، محاولاً اكتساب إعجابه :

ـ سأقدّمه إلى العدالة بالطبع ، لينال جزاءه الذى يستحقه .

استعاد ابتسامته ، وهو يسألنى :

ـ وهل تعتقد أن هذا أفضل ما يمكنك أن تفعله ؟!

سألته فى حيرة :

ـ أليس كذلك ؟!

عاد إلىَّ ، ومال نحوى ، وقال فى حزم على الرغم من ابتسامته الكبيرة :

ـ ليس بالضرورة .

وفى هذه المرة كانت دهشتى كبيرة وعارمة .. للغاية .

* * *

تابع فى الكتب القادمة

# عملية عيد الميلاد

(قصة واقعية)

# عملية عيد الميلاد .. ( قصة واقعية )

« الجنرال ( بن عمتاى ) يقيم حفلاً ، بمناسبة عيد ميلاده .. »

هذا الخبر ، الذى يناسب صفحة الاجتماعيات ، فى جريدة ( جورساليم بوست ) ، كان مضمون البرقية الشفرية العاجلة ، التى وصلت إلى المخابرات العامة المصرية ، فى تلك الساعة المبكرة ، من صباح أحد أيام شتاء ١٩٧٢م ..

وعلى الرغم من أن مضمون البرقية كان مباشرًا للغاية ، ولاينطوى على أية مضامين خفية إلا أن رجل المخابرات المصرى ( أمجد ) استقبلها باهتمام بالغ ، جعله يواصل التطلّع إليها خمس دقائق كاملة قبل أن يضعها على سطح مكتبه ، ويتراجع فى مقعده ، مشبكًا أصابع كفيه أمام وجهه ، ومسترجعًا تفاصيل عملية مهمة وطويلة ..

طويلة للغاية ..

ففى تلك الفترة ، كان ( أمجد ) واحدًا من المعدودين ، الذين يعلمون أن الحرب على الأبواب ، على الرغم من كل ما تبذله الدولة ، وما تخطّط له هيئة الأمن القومى ، للإيحاء بالعكس تمامًا ، وبأن القيادة السياسية والعسكرية تخشى



الدخول فى حرب خاسرة مع العدو الإسرائيلى ، وتستّكين أكثر لحالة اللاسلم واللاحرب ، التى سادت المنطقة منذ عام أو عامين ..

ولأن الركيزة الأولى لأية مواجهة عسكرية هى المعلومات ، فقد كان ( أمجد ) جزءًا من فريق خاص عهدت إليه مهمة جمع كل المعلومات الممكنة عن العدو ، عسكريًا واقتصاديًا ، وحتى اجتماعيًا قبل موعد المواجهة الشاملة ..

ولقد بذل الرجال قصارى جهدهم بحق ..

ولأنهم عملوا بكل جد وجهد ، فقد حصلوا على فيض من المعلومات المهمة ، عن الجيش الإسرائيلى ، وتسليحه ، وخط ( بارليف ) ، وتحصيناته ، وجنرالاته ..

فيما عدا الجنرال ( بن عمتاى ) ..

فعلى عكس باقى جنرالات ( إسرائيل ) الذين سكروا بخمر انتصارهم فى يونيو ١٩٦٧م ، وانتفخت أوداجهم ، وأجسادهم ، وكل مشاعر الزهو والغرور فى أعماقهم ، وصدقوا أكذوبة جيشهم الأسطورى ، الذى لايُقهر ، كان ( بن عمتاى ) مازال واقفًا على أرض الواقع ، مدركًا أن انتصار يونيو ١٩٦٧م هذا لايمكن أن يتكرّر قط ، وأن العرب لن يستسلموا أبدًا لمشاعر الهزيمة والعار ، والحرب آتية لاريب ، طال الوقت أم قصر ..

ومن هذا المنطلق ، كان الرجل شديد الجدية والالتزام والحذر ، لا يتحدَّث عن عمله خارج مكتبه قط ، ويراجع أوراق كل من يعمل فى إدارته بنفسه ، وبمنتهى الدقة والاهتمام ويستبعد فورًا كل من تراوده بشأنه ذرة من الشك ..

ذرة واحدة ..

ولكن الجنرال ( بن عمتاى ) كان مسئولاً عن قطاع شديد الأهمية والخطورة ، فى المرحلة القادمة بالذات ، ألا وهو قطاع الأمن والاستطلاع ، فى قلب ( سيناء ) المحتلة ..

وحتى تكتمل المعلومات ، كان من المحتم اختراق قطاع الجنرال ( بن عمتاى ) هذا ..

وبأى ثمن ..

وطوال ستة أشهر كاملة ، لم تنجح أية محاولة لاختراق حاجز المعلومات ، الذى صنعه الرجل حول نفسه ، لشدة حذره وشكوكه ..

ولكن رجال المخابرات المصرية لايستسلمون أبدًا ، ولا يؤمنون حتى بكلمة مستحيل ..

لذا فقد واصلوا المحاولة ، بمنتهى الإصرار والتحدِّى ،



وتم إسناد العملية للسيِّد ( أمجد ) باعتباره واحدًا من أذكى وأبرع رجال الجهاز ، فى تلك الفترة ، واكثر خبرة فى التعامل مع جنرالات ( إسرائيل ) ..

وكعادته ، حمل ( أمجد ) ملف الجنرال ( بن عمتاى ) كله إلى مكتبه ، وراح يدرس كل حرف فيه لساعات طوال .. للغاية ..

ثمانى عشرة ساعة كاملة ، قضاها ( أمجد ) فى حجرته ، يدرس الجنرال ( بن عمتاى ) ، وعاداته ، وطبائعه ، وتاريخه ، وكل ذرة من حياته وعمله ..

ومع مطلع الفجر ، أدرك ( أمجد ) أن ما يقولونه صحيح ..

الجنرال ( بن عمتاى ) منيع بحق ..

ومع رشفات فنجان من القهوة المركَّزة ، بعد صلاة الفجر ، راح ( أمجد ) يعيد دراسة الموقف كله من منظور جديد ، يعتمد على مبدأين ، يؤمن بهما بكل ذرة من كيانه ..

أولهما أنه لا وجود للمستحيل ، لأن كل شخص ، مهما بلغت مناعته وقوته ، لديه حتمًا ثغرة ما ، أو نقطة ضعف خفيفة ، يمكن التسلُّل إليه عبرها ..

وثانيهما أنه عندما يتعذّر الانقضاض على الخصم مباشرة ، لا بد من الدوران حوله ، والهجوم من مصدر غير مباشر ..

وعلى الرغم من إرهاقه ، وعينيه اللتين تقاتلان فى استماتة للبقاء مفتوحتين ، فى العاشرة والربع صباحًا ، وضع ( أمجد ) يده على نقطة ضعف الجنرال ( بن عمتاى ) غير المباشرة ..

زوجته ( أنابيلا ) ..

فصحيح أن ( بن عمتاى ) رجل قوى منيع ، إلا أن ( أنابيلا ) مجرَّد امرأة إسرائيلية عادية ، طامحة إلى السباحة فى ذلك النعيم ، الذى ترفل فيه زوجات الجنرالات الأخريات ، بعد انتصار يونيو ، وأوسمة النصر ، التى تثقل صدور أزيائهم الرسمية ..

كان هذا فى منتصف عام ١٩٧٢م ، عندما اجتمع ( أمجد ) بفريق العمل التابع له ، بعد ثلاث ساعات فحسب من النوم العميق ، وراح يشرح لهم خطته بكل التفاصيل ..

وبمنتهى الدقّة ..

وكالمعتاد ، لم تكن خطة تقليدية على الإطلاق ، كما أنها كانت تعتمد على تجنيد جاسوس آخر ..



جاسوس لم يكن من الممكن أن يخطر ببال أى مخلوق قط ..

وفى اليوم التالى مباشرة ، بدأ تنفيذ الخطة ..

بدأت بالسيطرة على ( كيتى ) ، زوجة جنرال إسرائيلى آخر ، يتمتع بنفوذ قوى ، داخل مجلس قيادة الجيش هناك ، وبصلات متينة مع كبار المسئولين العسكريين والسياسيين فى ( إسرائيل ) ..

وعلى الرغم من منصب زوجها ، كانت ( كيتى ) امرأة عابثة مستهترة ، تميل إلى التظاهر والتباهى ، وترتبط سرًّا بعلاقة قوية ، مع ضابط شاب وسيم ، يتولّى منصبًا إداريًّا بسيطًا فى الإدارة التابعة لزوجها ..

والجزء الأخير كان سريًّا للغاية ، أو هكذا تصوَّرت ( كيتى ) التى لم تلتق بصديقها قط فى أماكن عامة ، أو تبدى أى اهتمام خاص به ، فى أية مناسبة تجمعهما ، حرصًا على مظهرها ، وخشية رد فعل زوجها العنيف ، وسلطاته الواسعة ..

وذات يوم ، سافر الزوج فى مهمة خاصة لتفقد استحكامات خط ( بارليف ) الجديدة مع فريق من المسئولين وقيادات الجيش ، فانتهزت ( كيتى ) الفرصة ، لقضاء اليوم كله مع صديقها الشاب ..

وعندما غادرت (كيتى) فى المساء ذلك المنزل ، الذى يستأجره صديقها ، فى ضواحى (تل أبيب) ، والذى لم يدلفا إليه أو يغادراه معًا أبدًا ، وجدت سائحة فرنسية شابة تستند إلى سيارتها ، وتلقى حقيبتها الصغيرة على مقدمتها فى لامبالاة ، وشعرها الأشقر الطويل ينسدل على كتفيها بلا نظام ، فأشارت لها بيدها فى صرامة ، قائلة :

ـ ابتعدى عن سيارتى .

رمقتها الفرنسية بنظرة لا مبالية ، ثم التقطت حقيبتها فى بطء مستفز ، وفتحتها لتلتقط منها مظروفًا أصفر ، اعتدلت وهى تناوله للإسرائيلية ، قائلة فى لهجة هادئة ، تجمع نبراتها بين الأمر والحزم ، وبلغة عبرية ذات لكنة فرنسية واضحة :

ـ ستجدين رقم الهاتف بالداخل .

وقبل حتى أن تكتمل العبارة ، كانت الفرنسية قد تركت المظروف بين أصابع (كيتى) ، وانطلقت مبتعدة بخطوات سريعة ، فهتفت بها (كيتى) ، فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

ـ وما شأنى بهذا ؟!



لم يبد حتى أن الفرنسية قد سمعتها ، وهى تنحرف فى شارع جانبى صغير ، وتختفى عن نظرها تمامًا ، ولآخر مرة ..

ولوهلة ، فكَّرت (كيتى) فى أن تلقى المظروف جانبًا ، وتمضى فى طريقها ، إلا أنها لمحت بطرف عينيها اسمها على المظروف ..

ليس اسم (كيتى) الذى يناديها به زوجها والأصدقاء ، ولكنى اسمها الحقيقى .. وبالكامل .

وبكل دهشتها حدَّقت (كيتى) فى المظروف ، ثم فتحته بأصابع مرتجفة متردِّدة ، و ...

وكانت الصدمة قوية .. وعنيفة .. للغاية ..

فالمظروف كان يحوى مجموعة من الصور ، التى تجمعها بصديقها الضابط الشاب ، فى جلساتهم الخاصة ، فى مناسبات عديدة ، وبينها ـ لذعرها ـ صور لقائهما الذى انتهى منذ دقائق معدودة ..

وامتلأت نفس (كيتى) برعب لا حدود له ، وانطلقت فى محاولة البحث عن تلك الفرنسية بلا جدوى ، وفكَّرت فى العودة إلى صديقها الشاب ، وإبلاغه بما حدث ، إلا أنها

خشيت أن يصيبه الرعب ، فيقدم على حماقة تدمرهما معًا ، فانطلقت بسيارتها عائدة إلى منزلها ، ولم تكد تُغلق باب حجرتها على نفسها ، حتى التقطت هاتفها ، واتصلت بالرقم المدوَّن على الورقة الصغيرة ، التى وجدتها مع الصور ..

كانت تتوقَّع أن تجيبها تلك الفرنسية ، لذا فقد اندهشت وارتبكت ، عندما أجابها صوت رجالى خشن ، تحمل عبريته لكنة ألمانية ، فقالت فى عصبية :

ـ معذرة .. لقد تصوَّرت أن ..

قاطعها الرجل فى صرامة :

ـ الاتصال صحيح يا (كاتالينا) ..

والعجيب ان كيانها كله قد انهار دفعة واحدة ، عند هذه النقطة ، واستمعت إلى أوامر الرجل فى استسلام تام ، أكد خضوعها للأمر ، واستعدادها للقيام بكل مايطلب منها مهما كان ..

وفى ظهر اليوم التالى ، التقت (كيتى) بالرجل ، فى دار سينما صغيرة فى (تل أبيب) وكانت هذه هى البداية بالنسبة لها ..



وبالنسبة لخطة (أمجد) العبقرية أيضًا ..

ولقد استغرقت مرحلة إعداد (كيتى) ، والتيقن من ولائها شهرين كاملين ، تصوَّرت هى خلالها ، أن المهمة التى يعدونها لها ، هى جلب أسرار زوجها وعمله ، باعتباره جنرالاً مهمًا فى القيادة الإسرائيلية ، لذا فقد فوجئت بحق ، عندما أدركت فى نهاية المدة ، أن كل المطلوب منها هو أن ترتبط بصداقة وثيقة مع (أنابيلا) زوجة الجنرال (بن عمتاى) ..

ولم تفهم (كيتى) الغرض من صداقة كهذه ، ولم يكن من المفترض بها أن تفهم ، وإنما أن تطيع الأوامر فحسب ، وأن تؤدى الأوامر بالأسلوب الذى تدرَّبت عليه ، بمنتهى الدقه والبراعة ، وإلا فسيتم إرسال نسخة من الصور والوثائق إلى زوجها ، ونشر بعضها فى صحف الفضائح الإسرائيلية أيضًا .

ولأن (كيتى) لم تفهم أبدًا الغرض مما ستفعله ، فقد أقدمت عليه بكل اهتمامها ، ونفذت ما تدرَّبت عليه بالضبط ..

ومن الواضح أن بعض خبراء علم النفس قد ساهموا فى وضع خطة التدريبات هذه فلم تمض عدة أشهر ، حتى كانت (كيتى) هى الصديقة الصدوق لزوجة (بن عمتاى) التى لا تفارقها قط ، ولا تبخل عليها بالنصح أبدًا ..

والواقع أن ( أنابيلا ) المغلقة محدودة الذكاء ، قد انبهرت بشخصية ( كيتى ) وأسلوبها حتى إنها أصبحت فعليًا فى موضع التابعة وليس الصديقة ، وأصبحت ( كيتى ) هى الرادار الذى يوجه مشاعرها وتصرفاتها على نحو أفضل حتى مما حلمت به المخابرات المصرية ..

وكان الضحية هو الجنرال ( بن عمتاى ) نفسه ..

فلأول مرة فى حياتها ، بدأت ( أنابيلا ) تعترض ، وترفض ، وتغضب ، وتصر على أن تحيا فى نفس المستوى الاجتماعى ، الذى تحيا فيه زوجات الجنرالات الآخرين ..

وفى البداية ، تجاهل ( بن عمتاى ) أسلوبها وغضبها ، بشخصيته الصارمة القاسية ولكن نصائح وتوجيهات ( كيتى ) ، التى لقنتها إياها المخابرات المصرية ، أحالت حياة الرجل إلى جحيم ، كاد يفقده صوابه ، ويفسد حياته كلها ، دون أن يدرك السبب الحقيقى لهذا ؛ لأن زوجته لم تخبره قط بشأن ( كيتى ) ، ولم تستقبلها فى منزلها أبدًا ، فى غيابه أو وجوده ..

ولأنه ما من رجل يمكن أن يحتمل هذه الحياة طويلاً ، وافق ( بن عمتاى ) أخيرًا على أن تقيم له زوجته حفل عيد ميلاد ، فى منزلهما الأنيق فى ( تل أبيب ) ..



وجن جنون ( أنابيلا ) من شدة الفرح والسعادة ، وأسرعت تزف خبر انتصارها إلى صديقتها ( كيتى ) ، التى سألتها فى اهتمام :

- وهل لديك من يتولّى أمر حفل كهذا ؟!

أبدت ( أنابيلا ) دهشتها وحيرتها بهذا الشأن ، وحاولت إقناع ( كيتى ) بأنها قادرة وحدها على تولّى الأمر ، ولكن ( كيتى ) استنكرت هذا واستهجنته تمامًا ، ثم أعطتها رقم هاتف شركة متخصصة فى مثل هذه الأمور ، وأخبرتها بغمزة غير ذات معنى ، أنها ستوصيهم بتقديم أفضل الخدمات لها ..

ولأن الجنرال ( بن عمتاى ) رجل شديد الحذر ، فقد جمع بعض التحريات عن تلك الشركة وتأكّد من سلامتها أمنيًا ، قبل أن يسمح لزوجته بالاتصال بها ، وإسناد أمر تنظيم الحفل إليها ، بشرط تحديد أسماء كل من سيدخل المنزل منهم أولاً ..

والمدهش أن خطة ( أمجد ) كانت تتوقع ذلك الإجراء ، وتستعد له منذ زمن طويل .. ففى نفس الوقت ، الذى تم تجنيد ( كيتى ) فيه ، التحق شاب بسيط المظهر بتلك الشركة ،

المتخصصة فى إقامة المعارض والحفلات ، بتوصية من شركة سياحية شهيرة فى (تل أبيب ) ، وأبدى ذكاء ملحوظًا فى هذا المضمار ، مما قربه من مدير الشركة وسكرتيرتها التنفيذية التى أغرمت به تمامًا ..

ولأن إقامة حفل عيد ميلاد جنرال إسرائيلى كبير ، كان أمرًا يهم الشركة كثيرًا ، فقد تم إسناد مهمة تنظيمه إلى ذلك الشاب ، باعتباره خبيرًا فى مثل هذا الأمور ، كما أكَّدت توصية (ماجى تورز ) للسياحة ، وكما أثبت خلال شهور عمله بالمكان ..

ولأن ذلك الشاب كان أحد أهم العملاء المستترين للمخابرات المصرية ، فى قلب ( إسرائيل ) ، فقد كان ملفه الأمنى نظيفًا تمامًا على نحو اطمأن معه جهاز التحريات الأمنى ، الخاص بالجنرال ( بن عمتاى ) ، ووافق على دخوله منزل هذا الأخير ..

وفى الأسبوع الأول من يناير ١٩٧٣م ، أقيم حفل عيد ميلاد الجنرال ( بن عمتاى ) فى منزل هذا الأخير ..



ولأن الحفل يضمّ عددًا من كبار القيادة العسكريين ، ورجال الصفوة من المجتمع ، وبعض السياسين اللامعين ، فقد انتشر رجال الأمن فى المكان ، وقاموا بتفتش كل رجال الشركة ، والتأكُّد من أنهم لا يحملون أية أغراض مريبة ، قبل السماح لهم بدخول منزل ( بن عمتاى ) ، الذى بدأ أكثر الجميع عصبية وتوترًا ، ربما لأنها المرة الأولى ، التى يستقبل فيها ضيوفًا رسميين فى منزله ، أو ربما لأنها أول مرة يستقبل فيها ضيوفًا ، على أى مستوى ..

ولقد بدا الشاب هادئًا باسمًا بسيطًا ، أثناء عملية التفتيش ، ولم يكن يحمل سوى دفتر ورقى بسيط ، وقلم من الحبر ، باعتباره المشرف العام على تنظيم الحفل ، والمسئول عن متابعة كل أفراد الشركة خلاله ..

ولقد بدا الشاب أشبه بشعلة من النشاط بالفعل ، وهو يتحرك فى كل مكان ، ويتابع كل شىء وكل شخص ، ويدوِّن ملاحظاته هنا وهناك ، حتى إن أحد رجال الأعمال المدعوين قد همس فى أذن ( بن عمتاى ) بانبهار :

ـ قل لى .. هل تعتقد أنه باستطاعتى إقناع هذا الشاب بالعمل فى شركتى .

وحاول (بن عمتاى) أن يبتسم ، وهو يهمهم بعبارة غير مفهومة ، محاولاً السيطرة على عصبيته البالغة ، ومقسمًا فى أعماقه على ألا يكرِّر هذا الحفل أبدًا ، مدى الحياة ..

ثم حانت لحظة إطفاء شموع كعكة عيد الميلاد ، وتابع الشاب الموقف بنفسه ، وبمنتهى الاهتمام ، ثم أشار إلى رجاله ، فأطفئوا كل أنوار المنزل ، وبدءوا فى إنشاد أغنية أمريكية طويلة ، قبل إطفاء الشموع ..

وكان الغناء جميلاً وأنيقًا إلى حد الإبهار ، حتى إنه جذب انتباه الكل ، بما فيهم رجال الأمن والحراس ، وجعلهم لا ينتبهون إلى طول الأغنية ، ولا إلى اختفاء الشاب فى قلب الظلام ، والذى دام لخمس دقائق كاملة ، قبل أن ينتهى الغناء ، ويطفئ الجنرال (بن عمتاى) شموع عيد الميلاد ، وتعود الأضواء للسطوع مرة أخرى ..



ومع عودة الأضواء ، ظهر الشاب مرة أخرى ، ليتابع كل شىء بمنتهى الاهتمام والنشاط .. ولكنه لم يعد يدوِّن ملاحظاته ..

بل ولم يلتقط قلمه بعدها مرة واحدة ؛ لأن القلم قد فقد الكثير من أجزائه الداخلية ، ولم يعد صالحًا للعمل على نحو عادى ..

وفى نهاية الحفل ، تنفس (بن عمتاى) الصعداء ، وشعرت (أنابيلا) بكل سعادة الدنيا ، وهى تتلقَّى التهنئة من زوجات الجنرالات ، اللاتى لم يستطعن إخفاء حسدهن ، واللاتى تسابقن للحصول على اسم الشاب وشركته ، وأرقام هواتفها ، للاتصال بها عند إقامة أى حفل منزلى ..

وفى ساعة متأخرة من الليل تلقَّى (أمجد) برقية شفرية عاجلة من (تل أبيب) ، تحوى عبارة واحدة مقتضبة :

ـ كل سنة وأنت طيب ..

وأغمض (أمجد) عينيه ، وهو يبتسم فى ارتياح جارف ، فالعبارة كانت تعنى أن عملية دس أجهزة التنصُّت ، فى حقيبة الجنرال (بن عمتاى) الشخصية قد تمت بنجاح ، وهذا يعنى أنه ، ومن الآن فصاعدًا ، ستلتقط المخابرات المصرية كل همسة تدور داخل مكتب مسئول الأمن والاستطلاع الإسرائيلى فى (سيناء) المحتلة ..

وهذا ما كان بالفعل ، حتى لحظة اندلاع حرب أكتوبر ١٩٧٣م ..

لقد صنعت المخابرات المصرية قناة اتصال ومعلومات مباشرة ، مع مكتب أمن ( سيناء ) ، فى القيادة الإسرائيلية نفسها .

وحصلت على فيض جديد من المعلومات بعملية لم يدركها أو يتصورها الإسرائيليون ربما حتى لحظة كتابة هذه السطور ..

عملية عيد الميلاد ..

للنصر ؟

* * *

حرب المعرفة

# الحرب النفسية

## (الحلقة الثالثة)

## ( الشائعات )

# ٣ ـ الشائعات ..

من بين كل أنواع الحرب النفسية ، التى استعرضها التاريخ ، فى عالم الحروب الجاسوسية ، تحتل الشائعات مكانة خاصة ..

خاصة للغاية ..

فعلى عكس كل الوسائل الأخرى ، تنطلق الشائعات دومًا من بؤرة مجهولة ، يصعب تحديدها ، أو تتبُّعها على نحو منطقى وسليم ، فالشائعة يمكن أن تبدأ من مصنع كبير ، أو مقهى صغير ، أو حتى من قلب أخطر جهاز ، فى أية دولة من دول العالم ..

وهذا يتوقَّف على طبيعة الشائعة ، وأهميتها ، وخطورتها ، وما يمكن أن تؤدّى إليه ، بعد أن تتوغل فى المجتمع ، وتستقر فى وجدانه ، وتصبح لها قوة رهيبة ، ربما تنزاح أمامها الحقائق نفسها ..

والاستهانة بالشائعات خطأ فادح ، مهما بدت الشائعة تافهة أو غبية ، أو حتى تفتقر إلى المنطق والعقل السليمين ..

وقبل أن نناقش هذه النقطة ، دعنى أعيد ذهنك إلى شائعة



مضحكة ، بدأت كدعابة على الأرجح ، ثم لم تلبث أن قويت ، مع ترديدها المستمر ، حتى تجاوزت كل حدود المنطق الطبيعى ..

والحديث هنا عن تلك الشائعة ، التى انتشرت فجأة ، لتقول : إن الفنان المبدع (محمد صبحى) مسيحى الديانة !

شائعة كان ينبغى أن تثير الضحك والسخرية ، وتبدو واضحة السخافة واللامنطقية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد فوجئنا بها تنتشر ..

وتنتشر ..

وتنتشر ..

ومع انتشارها ، راح بعض الخبثاء ينسجون مبررات أكثر سخافة لإقناع الآخرين بأن ( محمد محمود صبح ) الشهير بالفنان (محمد صبحى) ، رجل مسيحى الجنسية ..

والسخيف أن التبرير نفسه غير منطقى ..

ولكن الأسخف أن الناس صدقت ..

وردَّدت ..

وأثبتت قوة الشائعات ..

وفى الوقت الذى كان فيه مطلق الشائعة ينقلب على ظهره ضحكًا وسخرية ، من ذلك الشعب الساذج ، الذى صدق شائعة سخيفة كهذه ، كان على الفنان ( محمد صبحى ) أن يتحدث إلى الصحف ، وعن كذب الشائعة ، التى سخر منها شخصيًا فى البداية ، بغض النظر عما ورد بها ، باعتبار أن مؤلفها ومردّدها شخص أساء إلى الأديان ، دون وعى أو منطق .. أو ربما هو شخص تعمَّد هذا !!

المهم أنه ، على الرغم من كل ما قيل ، ومن تكذيب ( صبحى ) نفسه للأمر ، ظل هناك من يصدق ..

ومن يردّد ..

ومن يجادل ..

وهكذا الشائعات ..

من السهل أن تطلقها ، ومن الصعب ، وربما من الصعب جدًا أن توقفها ..

وأحد الأسباب الرئيسية للشائعات ، رغبة البعض فى الظهور بمظهر الشخص المتميِّز ، والمطلع ، والعارف ببواطن الأمور ..

وهذه أسوأ صفة فى الوجود ..



وتتضاعف نسبة السوء ، لو أن صاحب تلك الصفة ينتمى بالفعل إلى جهة سيادية أو أمنية ، أو سياسية ، بحيث توحى كلماته بالثقة والمصداقية ، حتى ولو لم يكن يعلم شيئًا عما يتحدَّث عنه فى الواقع ..

فليس من الضرورة ، أن يكون أحد العاملين فى جهاز الشرطة مثلًا ، على علم بكل ما يدور هناك ، بل من الطبيعى جدًا أن يجهل الكثير مما يحدث ، وإلا فسيصبح جهاز الشرطة كله أشبه بمقهى عام ، يردِّد الكل فيه الأسرار ، بل ويعلنها لكل العاملين بلا استثناء ، ودون أية قواعد للسرية وأمن الجهاز والدولة ..

وهذا ينطبق أيضًا على العاملين فى أجهزة المخابرات ، ومجلس الوزراء ، ومجلس الشعب ، وكل الجهات السيادية الأخرى ..

وفى معظم الأحيان ، يكون الشعور بقلة الشأن ، هو الدافع الرئيسى ، للعاملين الصغار ، أو لصغار كبار الموظفين ، كما يطلق عليهم ، لكى يتظاهروا بالأهمية ، عن طريق ادعاء أنهم يعرفون أسرار المكان ..

بل وأسرار الدولة نفسها ..

وفى بعض الأحيان ، يتظاهر هؤلاء المرضى النفسيين بأنهم على علم حتى بما يطلق عليه اسم ( قرارات المطبخ ) ..

والمقصود بالمصطلح هو تلك القرارات ، ذات الطابع السيادى للغاية ، بحيث لايمكن أن يعلم بها سوى كبار القادة ، على أرفع المستويات ، ورئيس الوزراء ، أو رئيس الجمهورية شخصيًا ..

ومثل تلك القرارات تكون دومًا على درجة عالية جدًا من السرية حتى إن الرئيس والقادة لا يبلغون زوجاتهم بها ..

فما بالك بموظفيهم ، فى الدرجات العليا ..

والدرجات الوظيفية الأدنى ..

ولكن العجيب أن الناس لا تفكر ..

أو تبحث ..

أو تناقش ..

فقط تصدق ..

وتنبهر ..

وتردد ..

وهنا تكمن الكارثة .

وهنا تكمن أيضًا ، قوة وخطورة الشائعات ، على كل المستويات ..



والشائعات ، من ناحية قوتها ، وقدرتها على التغلغل ، وما تتركه خلفها من تأثيرات ، تنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسية ..

وأشهر أنواع الشائعات ، مايعرف باسم ( الشائعة الزاحفة ) ..

والشائعة الزاحفة هذه هى أقوى الشائعات تأثيرًا ، وأكثرها قدرة على هزيمة الحقائق نفسها ، إذ إنها ، وكما يتضح من اسمها ، تبدأ هادئة ، بطيئة ، ولكنها تمتلك من القوة ما يسمح لها بالزحف فى المجتمعات ، وبالانتقال بين الألسنة والآذان فى سرعة ، بحيث تصبح راسخة قوية ، مقنعة ، حتى وإن لم تستند إلى منطق سليم ..

والغرض الرئيسى للشائعة الزاحفة ، هو توجيه الفكر العام نحو أمر بعينه ، أو فكرة بذاتها ، بحيث تقر فى القلوب والنفوس ، وتصبح قادرة على تحطيم الروح المعنوية ، أو سلب الإرادة العامة ، عندما تحين لحظات المواجهات ..

وأشهر ما عُرِف من الشائعات الزاحفة ، هو فكرة قوة الجيش الإسرائيلى ، ومناعته ، وفكرة أنه غير قابل للهزيمة ..

وخلال الحرب العالمية الثانية ، استخدم ( جوبلز ) ، وزير الدعاية النازى ، شائعة السلاح السرى الألمانى ، ليحطم إرادة الإنجليز ، ويوهمهم بأن هزيمتهم حتمية ، حتى ولو أوحت تطورات الموقف بعكس هذا ..

والشائعة الزاحفة قادرة على دفع شعب كامل إلى الاستسلام ، قبل حتى أن يواجه عدوه ، لتصوره أن هذا العدو يفوقه قوة بمئات المرات ، أو يمتلك سلاحًا رهيبًا ، قادرًا على إبادته بلا رحمة .. إلخ ..

أما النوع الثانى من الشائعات ، فهو ( الشائعة العنيفة ) ..

وهذا النوع من الشائعات يعتمد على نشر أكذوبة قوية ، مخيفة ، تدفع فئة ما ، أو حتى كل الفئات ، إلى الغضب والثورة ، والاندفاع إلى التدمير أو التخريب ، دون أن تتوقف للتفكير فى الموقف ، ودراسته ، وتبين صحته أو كذبه .. والمثال الواضح للشائعات القوية ، هو أحداث الأمن المركزى ، فى أواخر ثمانينات القرن العشرين ، عندما سرت بين قوات الأمن المركزى شائعة ، تقول إن فترة تجنيدهم ستتضاعف ، فى ظروف معيشة سيئة للغاية ..

وبمنتهى العنف ، انطلق جنود الأمن المركزى يعلنون رفضهم ..

وغضبهم ..

وثورتهم ..

واشتعلت الدنيا كلها ..

وهذا بالضبط هدف الشائعات العنيفة ..



أن تطلق المشاعر والانفعالات من عقالها ، بمنتهى العنف والقوة ، دون تفكير أو تدبير ..

ومن هنا يبدو واضحًا أن الشائعات العنيفة هى عكس الشائعة الزاحفة تمامًا ، فهى تبدأ بسرعة ، والغرض منها نتائج سريعة ومباشرة ، و ...

وعنيفة ..

تبقى أمامنا إذن النوع الثالث والأخير من الشائعات ، وهو ما يعرف باسم ( الشائعة الغائصة ) ..

والشائعة الغائصة تشبه كثيرًا الشائعة الزاحفة ، من حيث بطئها ، وتوغلها ، وتغلغلها ، ولكنها تختلف عنها فى أنها لا تمس قطاعًا حيويًا دائمًا أو مستمرًا من المجتمع ، وإنما تمس أمرًا يتعلق بأوقات محدودة ، أو مواسم بعينها ، بحيث تغوص الشائعة فى المجتمع معظم الوقت ، ثم تعود إلى السطح ، عندما يأتى دورها ، أو موسمها ، أو تأتى مناسبتها ..

فلو أنها شائعة تتعلق بنقص الموارد الغذائية مثلاً ، فهى تختفى معظم أيام السنة ، لأن المواد متوافرة بالفعل ، ثم تعود إلى الظهور مع مواسم الصيف مثلاً أو فى بدايات شهر رمضان ..

والشائعات المالية هى أشهر أنواع الشائعات الغائصة ، مثل شائعات إصدار الحكومة لقانون ، يبيح لها الاستيلاء على الودائع البنكية للمواطنين ، أو على العملات الحرة فى أرصدتهم ، وهى شائعة ترتبط دومًا بالأزمات الاقتصادية ، فهى غائصة دومًا فى المجتمع ، ثم تظهر فجأة ، إذا ما واجه المجتمع أزمة مالية ، حتى ولو كانت مرحلية أو مؤقتة ..

ومن كل ما سبق ، يبدو من الواضح أن الشائعات هى أحد أسلحة الحروب عبر العصور ..

بل هى أقوى أسلحة الحرب الخفية ..

الحرب النفسية .

* * *

# ماذا تقترح ؟!

صديقى القارئ ..

هذه السلسلة غير تقليدية ..

إنها أوّل سلسلة ، فى العالم العربى ، تقدّم لك أسرار عالم الأسرار ..

أوّل سلسلة باللغة العربية ، تكشف أمامك ، غموض أقوى عالم ..

عالم الجاسوسية ..

ولكى تظل السلسلة غير تقليدية ، فلابد أن تشاركنا فيها برأيك ..

باقتراحك ..

بمفهومك ..

أخبرنا ، ما الذى أعجبك أكثر فيها ؟!

أى جزء منها أثار اهتمامك وانتباهك ؟!

وما الذى تقترح إضافته إليها ؟!

موسوعة الجاسوسية ؟!

سينما الجاسوسية ؟!

تاريخ الجاسوسية ؟!

مشاهير عالم الجاسوسية ؟!

أم ماذا ؟!

اقترح ..

وسندرس اقتراحك ، و ....

وربما يجعلنا هذا أفضل ، إن شاء الله (العلى القدير)

د. نبيل فاروق

موضوع العدد

# عملية الكود (ألفا)

(من قصص الجاسوسية العالمية)

# ١ـ الشـــفرة ..

● بدأ ذلك اليوم ، من أيـام ديسـمبر ١٩٥٧م ، بدايـة مشرقة ، علـى عكس الأيام والأسابيع التـى سبقته ؛ فلقد انقشعت السحب ، ولأوّل مرة منذ ما يزيد على الشـهر ، وأطلّت الشمس بوجهها المضـىء ، لتلقى أشعتها الذهبية الدافئة ، على مبنى المخابرات المركزية الأمريكية ، فـى (لانجلى) ، بولاية (فرجينيا) ، وتتسلّل عبر أحد نوافذه نصف المغلقة ، لتمنح شعورًا بالراحة والاسترخاء ، فـى نفوس الرجال ، الذين يجتمعون منذ مشرق الشمس ، فى حجرة الاجتماعات الرئيسية فى المبنى الشمالى ، بقيادة الكولونيل (سام جانسن) ، الذى راجع ملفًا ضخمًا أمامه ، وحاول أن يمنح وجهه الصارم لمحة من المودّة ، وهو يقول :

ـ لقد أرهقتكم المناقشة الطويلة .. أليس كذلك ؟!

اعتدل الرجال في مقاعدهم ، وهمّ أحدهم بقول شىء ما ، إلا أن الكولونيل (جانسن) تابع ، وكأنه لا ينتظر جوابًا لتساؤله :



ـ ولكن الواقع أننا أمام مشكلة شديدة الصعوبة والضخامة بالفعل ؛ فكل محاولاتنا المستميتة ، عبر شبكة جواسيسنا ، فى (أوروبا) الشرقية ، وحتى فى قلب الاتحاد السوفيتى نفسه ، لم تنجح بعد فى منحنا مفتاح الشفرة الجديدة ، شديدة التعقيد ، التى يستخدمها السوفيت وجواسيسهم ، فى نقل كل ما يرغبون من معلومات ، طوال الأشهر الستة الماضية .

هزّ أحد الرجال رأسه ، قائلاً :

ـ لقد طوّروا شفرتهم ، على نحو شديد التعقيد ، حتى إن خبراءنا قد عجزوا تمامًا عن التوصّل إلى مفتاحها ، مع كل جهودهم ومحاولاتهم .

ضرب (جنسن) سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :

ـ لابد أن نتوصّل إلى مفتاح الشفرة هذا بأى ثمن .. هل تفهمون .. بأى ثمن .

تبادل الرجال نظرة صامتة قلقة ؛ فهم يعرفون جيّدا ما الذى يعنيه أو يشير إليه الكولونيل (جانسن) ، عندما يستخدم هذا المصطلح بالذات ..

بأى ثمن ..

إنه باستخدام هذا المصطلح ، يدفعهم دفعًا إلى تجاوز كل العقبات ، وبذل المزيد والمزيد من الجهد ، بل واختراق حاجز المستحيل نفسه ؛ لمنحه ما يريد ، وإلا كانت العواقب وخيمة ..

وخيمة للغاية ..

فمنذ ستة أشهر كاملة ، وبعد أن انتبه السوفيت إلى أن واحدة من أهم شفرات اتصالاتهم قد تم كشفها ، بوساطة جواسيس أمريكيين ، قام رجال المخابرات السوفيتية ( KGB ) بتطوير شفرة جديدة ، شديدة الصعوبة والتعقيد ، وأجروا عليها عددًا من التجارب الطويلة ، قبل أن يبدأ استخدامها ، على نطاق واسع ، للتخاطب ونقل المعلومات ، عبر رسائل الأحبار السرية ، أو الاتصالات اللاسلكية ، أو حتى شبكات الإذاعة الخاصة ..

حتى المراسلات السرية ، بين سفارات الاتحاد السوفيتى وبعضها ، وبينها وبين (موسكو ) ، خضعت لتلك الشفرة المعقَّدة المطوَّرة ، التى أطلق عليها الأمريكيون ، بعد محاولات مضنية فاشلة ، اسم ( شفرة الكود ألفا ) ..

وعلى الرغم من النشاط الجم ، لكافة العملاء السريين والجواسيس الأمريكيين ؛ لسبر أغوار هذه الشفرة ، وكشف



سرها ، أو العثور على مفتاحها ، أو حتى طرف خيط ، يقود إلى بداياتها ، وعلى الرغم من نشاط أجهزة الاعتراض اللاسلكية ، التى التقطت وسجلت كل الاتصالات السوفيتية ، بل والتى نجحت فى تصوير بعض المكاتبات الشفرية السرية ، ظلت شفرة الكود ( ألفا ) شديدة الصعوبة ، والتعقيد ، والغموض أيضًا ..

ولأن السوفيت كانوا واثقين ، بل ومزهوين أيضًا بشفرتهم الجديدة ، فقد واصلوا استخدامها ، طوال ستة أشهر كاملة ، دون أية محاولة للتمويه أو الخداع ، وكأنهم يتحدون الأمريكيين ، أو يخرجون ألسنتهم لهم ، خلال تلك الفترة ، التى بلغت فيها الحرب الباردة بين الطرفين ذروتها ..

أما الأمريكيون ، فقد بلغ توترهم وغضبهم مبلغه ، وهم يجمعون الاتصالات والخطابات السرية السوفيتية ، ويملئون بها مخازنهم وملفاتهم ، مدركين أنها تحوى أطنانًا من الأسرار ، التى لديهم كل الاستعداد للقتل من أجلها ، لما تحويه من أسماء جواسيس ، وعملاء ، وعمليات ، وأهداف سابقة وحالية ومستقبلية ، دون أن يمكنهم حل مفاتيحها ، وكشف كودها ، والتهام ما تحويه ، وما يمكنه أن يغير وجه الصراع إلى الأبد ..

وفـى ذلـك الاجتمـاع ، كـان الكولونيل ( جانسـن ) يحـاول البحث عن وسيلة جديدة ، أية وسيلة جديدة ؛ لكشف مفتـاح شفرة الكود ( ألفا ) ، قبـل أن يتهم كل مرءوسيه بالتقصير والإهمال ..

والفشل أيضًا ..

ففى عالم المخـابرات ، لايعترف أحد بالمستحيل ، أو العجز ، أو حتى ببراعة وقوة الخصم ..

فالمطلوب دومًا هو بلوغ الهدف ..

بأية وسيلة ..

وبأى ثمن ..

وفى غمرة حيرة الرجال ويأسهم ، قال أحدهم فى حزم :

ـ المفترض أن شفرة الكود ( ألفـا ) تختلـف تمامًـا ، عن كل شفرة اتصال أخرى .. أليس كذلك ؟!

قلب الكولونيل ( جانسن ) شفتيه ، وهو يقول :

ـ أمر طبيعى .

هزَّ الرجل رأسه ، قائلاً :



ـ لست أقصد من ناحية تركيبها المعقَّد ، أو نظامها الجديد ، ولكن أقصد من ناحية أهميتها .

بدا الاهتمام على وجوه الرجال ، واعتـدل ( جانسن ) فى مقعده ، مشيرًا للرجل إشارة صارمة ، وهو يقول :

ـ هات ما لديك .

اعتدل الرجل بدوره ، وأكمل فى اهتمام :

ـ فالمعتاد ، فـى التعامل مـع نظم الشفرة أن تنجـح فـى الحصول عليها ، دون أن يدرك خصمك أنك قد فعلت هذا ، حتى يمكنك أن تستفيد بها مستقبلاً ، أما شفرة الكود ( ألفا ) ، فالحصول على مفتاحها ، بأية وسيلة كانت ، يفتـح بـالفعل مغارة ( على بابا ) أمامنا ، ويمنحنا مئات ، وربما آلاف الأسـرار ، التى بين أيدينا بالفعل ، ونحن عاجزون عن كشفها .

سأله ( جانسن ) فى توتر :

ـ ماذا لديك بالضبط ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ عملية انتحارية .

اتسعت عيون الكل فى دهشة ، وتراجع الكولونيل (جانسن ) فى مقعده بحركة حادة ، قائلاً :

ـ عملية ماذا ؟!

أجابه رجل المخابرات ، فى سرعة وحماس :

ـ عملية انتحارية ، ننقض بها على واحدة من السفارات السوفيتية ، فى ( أوروبا ) الشرقية أو الغربية ، ونسرق مفتاح شفرة كود ( ألفا ) ، أو ننتزعه انتزاعًا ، و ...

قاطعه (جانسن ) ، بكل غضب وصرامة الدنيا :

ـ اصمت .

احتقن وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ ولكن الهدف غير تقليدى ، ويحتاج إلى ..

قاطعه (جانسن ) بمنتهى الحدة :

ـ قلت : اصمت .

ثم هب من مقعده ، مستطردًا فى غضب :

ـ ما تقترحه هو إعلان حرب على الاتحاد السوفيتى ،



وليس مجردَّ الحصول على كود شفرة ما ، مهما بلغت خطورتها .. هل تدرك حقًا ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، فى وجود مخزون نووى ، لدينا ولديهم ، يكفى لنسف العالم كله مائة مرة على الأقل ؟!

احتقن وجه الرجل أكثر ، وحاول أن ينطق شيئًا ما ، لولا أن اقتحم سكرتير الكولونيل ( جانسن ) القاعة فجأة ، وهو يقول فى توتر :

ـ برقية عاجلة من ( باريس ) يا كولونيل .

هتف ( جانسن ) فى غضب :

ـ كيف تقتحم قاعة الاجتماعات ، على هذا النحو .. من المفترض أن ....

قاطعه الرجل ، وهو يلهث فى انفعال :

ـ إنها برقية بشأن الشفرة .. شفرة الكود ( ألفا ) .

وكان هذا القول الأخير كفيلاً بتفجير قنبلة فى القاعة ..

قنبلة من الدهشة ..

قنبلة مدوية ..

* * *

## ٢ ـ رسالة باريس ..

● « أريد مقابلة الملحق العسكرى هنا .. »

نطقت باريسية حسناء العبارة ، داخل السفارة الأمريكية فى ( باريس ) ، بكل توتر الدنيا ، وعلى نحو جعل موظف السفارة يتأمّلها فى حذر ، قبل أن يسألها :

ـ وما سبب المقابلة بالضبط يا آنستى ؟!

أشعلت سيجارة رفيعة ملوّنة ، على الرغم من اللافتات الإرشادية الصريحة ، التى تمنع التدخين داخل المبنى ، ونفثت دخانها فى عصبية ، وهى تجيب :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .

اعتدل موظف السفارة ، وانتقل إليه توترها ، حتى إنه أشار إشارة خفية إلى موظف الأمن ، وهو يقول ، بصوت أراده صارمًا حازمًا :

ـ معذرة يا آنستى ، ولكن القواعد هنا تمنع مقابلة المسئولين الرئيسيين ، دون مبرّر واضح .

قالت فى سرعة وعصبية :



ـ لدى مبرّر قوى لمقابلته .

سألها فى سرعة أكبر :

ـ وما هو ؟!

بدا عليها توتر زائد ، وهى تجيب :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. ما لدى من تعليمات هو أن أخبره هو فقط ، دون سواه .

كان موظف الأمن قد بلغ موقعهما بالفعل ، ووقف خلف الباريسية الشقراء مباشرة ، فى انتظار الأوامر ، فشد موظف الاستقبال قامته ، وفرد كتفيه فى اعتداد ، وهو يقول :

ـ معذرة مرة أخرى يا آنستى .. لن يمكننى أن ..

قاطعته فى عصبية ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى وجهه ، وتدس ورقة مطوية فى يده :

ـ اجعله يقرأ هذا إذن ، وأنا واثقة من أنه سيطلب مقابلتى فورًا .

نقل موظف الاستقبال نظره بينها ، وبين الورقة المطوية فى راحته ، فتابعت هى فى عصبية أكثر :

ـ هكذا أخبرونى .

كانت الورقة مطوية فى عناية ، وقد ألصق طرفاها بلاصق قوى ، فى محاولة لمنع أى وسيط من قراءتها ، مما أثار قلق موظف الاستقبال وحيرته ، التى أخرجه منها موظف الأمن ، وهو يسأله فى آلية :

ـ هل أذهب بالورقة ، إلى مكتب الملحق العسكرى ؟!

رفع موظف الاستقبال عينيه إليه ، قائلاً :

ـ كلاً .. انتظر أنت مع الآنسة ، وسأحمل أنا إليه هذه الورقة .

ثم مال نحو الباريسية ، يسألها :

ـ هل لى أن أعرف اسمك على الأقل ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى بنفس العصبية ، قبل أن تجيب :

ـ ( برجيت ) .. اسمى ( برجيت ) .

سألها فى اهتمام :

ـ ( برجيت ) ماذا ؟!

أجابته فى حدة :

ـ فقط ( برجيت ) .



أومأ برأسه ، وكأنه يتفهم الأمر ، وأشار إلى موظف الأمن قائلاً فى حزم :

ـ سأعود بأسرع ما يمكننى .

مطَّ شفتيه ، وهو يصعد بالرسالة المطوية إلى الطابق الثانى ، حيث الميجور ( رونالد كوريل ) ، رجل المخابرات الأمريكية ، والملحق العسكرى للسفارة فى ( باريس ) ، وراودته بضع لحظات خشية أن يسخر منه الرجل ، أو يتهمه بالانصياع إلى كل ما يقال له ، إلا أنه لم يلبث أن أيقن من أن شخصية الميجور ( كوريل ) الجادة لا يمكن أن تفعل هذا ، وإنه قد يمزِّق الورقة ، ويلقيها فى سلة مهملاته ، ثم يطالبه بصرف تلك الباريسية الشقراء فحسب ..

وفى شىء من الحذر لم يتعمَّده ، دق باب مكتب الملحق العسكرى ، قبل أن يدفعه ، قائلاً :

ـ ميجور ( كوريل ) .. هناك باريسية شقراء تدعى ( برجيت ) ، تطلب مقابلتك شخصيًا ، وتقول : إن ما لديها هنا سيجعلك توافق على هذا .

قالها ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة مرتبكة ، ويمد

يده بالورقة المطوية الملصقة إلى الملحق العسكرى ، الذى التقطها فى هدوء ، وهو يقول فى بساطة :

ـ دعنا نرى .

كانت الورقة ملصقة بعناية ودقة ، ولكنه استخدم فتاحة خطابات صغيرة ليفضها ، وتراجع فى مقعده ، وهو يلقى نظرة عليها ، و ....

وانتفض جسد موظف استقبال السفارة فى عنف ..

انتفض مع ذلك الانفعال القوى ، الذى انحفر على كل لمحة من ملامح الميجور ( كوريل ) ، الذى لم يكد يلقى نظرة على ما تحويه الورقة ، حتى التقى حاجباه فى شدة ، واتسعت عيناه فى قوة ، وانعصرت شفتاه فى توتر ، قبل أن يرفع عينيه إلى الرجل ، قائلاً بكل الحزم والصرامة :

ـ دعها تأتى .

اتسعت عينا موظف الاستقبال بدوره ، وهو يقول :

ـ هل تعنى أن ..

قاطعه ( كوريل ) بمنتهى الصرامة :

ـ دعها تأتى فورًا .



وعندئذ فقط ، أدرك الموظف مدى أهمية الأمر وخطورته ، فالتقط جهاز الاتصال اللاسلكى ، المعلّق فى كتفه ، وهتف ، قبل حتى أن يغادر مكتب ( كوريل ) ، مخاطبًا رجل الأمن ، فى الطابق السفلى :

ـ دع الآنسة ( برجيت ) تتفضَّل .

لم تمض دقائق ثلاث على قوله هذا ، حتى كانت ( برجيت ) تجلس أمام الميجور ( كوريل ) ، الذى طلب بقاءهما وحدهما ، ثم سألها فى اهتمام :

ـ هل تعرفين ما الذى تحويه تلك الورقة ، التى أرسلتها إلىَّ ؟!

هزَّت رأسها نفيًا فى عصبية ، وهى تجيب :

ـ كلاَّ .

ألقى نظرة على الورقة ، التى حملت كلمة واحدة ، باللغتين الروسية والإنجليزية ..

كلمة ( الكود ألفا ) ..

ثم عاد يسألها :

ـ من أعطاك هذه الورقة إذن ؟!

أجابته بنفس العصبية :

ـ صديقى .

ثم سألته فى حدة :

ـ ألا يمكننى التدخين هنا ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ افعلى كل ما من شأنه تهدئة أعصابك ..

أخرجت سيجارتها الأخيرة من علبتها ، وأشعلتها فى نهم واضح ، ونفثت دخانها فى سماء الحجرة ، فسألها فى هدوء :

ـ سيجارة سوفيتية .. أليس كذلك ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تسأله فى توتر :

ـ كيف عرفت ؟!

أشار إلى أنفه ، مجيبًا :

ـ سجائرهم لها رائحة نفّاذة مميَّزة .

ثم مال إلى الأمام ، يسألها :



ـ من أين حصلت عليها ؟! إنهم لا يبيعون الكثير من هذه السجائر فى ( باريس ) .

قالت فى توتر :

ـ صديقى أعطانى إياها ، مع تلك الورقة ، فى لقائنا الأخير .

كان هذا يعنى أن لحظة المصارحة قد حانت ؛ لذا فقد سألها مباشرة :

ـ من صديقك بالضبط ؟!

أجابته فى سرعة ، وكأنها تنتظر السؤال منذ البداية :

ـ ( أيجور ) .. ( أيجور شلينكو ) .. مسئول الشفرة ، فى السفارة السوفيتية فى ( باريس ) .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

وقوية .

* * *

## ٣ ـ السوفيتى ..

● فرد الكولونيل ( سام جانسن ) ، رجل المخابرات المركزية الأمريكية أمامه ، كل أوراق البرقية ، التى أرسلها الميجور ( رونالد كوريل ) من ( باريس ) ، وهو يقول لرجاله ، الذين ما زالوا يلتفون ، حول مائدة الاجتماعات ، فى مبنى المخابرات الرئيسى فى ( لانجلى ) بولاية ( فرجينيا ) :

ـ إنه سوفيتى يُدعى ( أيجور إيفانوف شلينكو ) ، كان يعمل كمسئول اتصالات فى الجيش السوفيتى سابقًا ، ثم تم ترشيحه للعمل فى المخابرات السوفيتية ، منذ سبع سنوات ، حيث تفوّق فى مجال التعامل مع الشفرة ، مما أهله للانتقال إلى ( أوروبا ) الغربية ، فعمل لعام واحد فى ( ألمانيا ) ، وبعدها كمسئول لقسم الشفرة ، فى السفارة السوفيتية فى ( باريس ) .

ثم تراجع فى مقعده ، وأدار عينيه فى وجوه الرجال ، مستطردًا :

ـ هذا ما يقوله ملفه لدينا .

تساءل أحد الرجال ، فى اهتمام بالغ :



ـ ولكن لماذا يسعى شخص مثله للتعاون معنا ؟! المفترض أن السوفيت يجيدون انتقاء من فى مثل موقعه ، ويراجعون ملفاتهم ألف مرة ، قبل احتلالهم موقعًا شديد الحساسية كهذا !!

التقط ( جانسن ) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ صدمة الغرب .

وتراجع الرجال جميعهم فى مقاعدهم ، دون أن يعلّق أحدهم بحرف واحد ..

فالمصطلح لم يكن جديدًا أو عفويًا ..

إنه مصطلح أنتجته وابتكرته قرائحهم هم ..

أو قرائح من سبقهم ..

مصطلح يشير إلى الشيوعيين ، الذين يولدون وينشئون ، ويترعرون فى بلدان شيوعية محضة ، تتشكل بين حدودها شخصياتهم وأفكارهم ، وتتبلور فيها كينوناتهم ..

وبعد أن تستقر الشيوعية فى وجدانهم ، ويتصورون أنها النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى الأفضل ، وأنه ليس فى أى كيان أبدع مما كان ، تتاح لهم ، على نحو أو آخر فرصة الانتقال إلى الغرب .. إلى الانفتاح ، والحرية ، والانطلاق ..

إلى حيث يمتلك المرء ، من الإمكانيات والرفاهيات ، ما يتناسب مع عمله ، ومواهبه ، وقدراته الخلاقة ..

إلى حيث يمكن أن تقول كل ما تشاء ، كيفما تشاء ، ووقتما تشاء .

عندئذ تحدث الصدمة ..

صدمة الغرب ..

الرؤية الجديدة تصدم المفاهيم القديمة فى عنف ، وتضربها فى مقتل ، وتزيحها من العقول والقلوب فى حزم ، لتغرس بدلاً منها طموحات جديدة ..

وآمال جديدة ..

ومفاهيم جديدة ..

أحلام جديدة أيضًا ..

ومع تلك الصدمة ، يحدث التمرُد على قانون الشرق ..

وتحدث اللهفة إلى رفاهية الغرب ..

السوفيت أيضًا يدركون هذا ، ويحرصون على انتقاء عناصرهم المخابراتية ، والدبلوماسية ، والقيادية ، من فئات تؤمن تمامًا بالشيوعية ..

فئات يمكنها أن تواجه الغرب ..



وأن تظل منتمية للشرق ..

والواقع أنهم يبذلون جهدًا حقيقيًا ، بل وخرافيًا فى هذا الشأن ..

ولكن لا يوجد أمر ، يمكن أن تبلغ نسبة نجاحه حد الكمال ..

لا يوجد نجاح بنسبة مائة فى المائة أبدًا ..

لا فى عالم المخابرات ..

ولا فى أى عالم آخر ..

لذا ، فهناك دومًا احتمالات فشل ..

الأمريكيون يعلمون هذا ..

وكذلك السوفيت ..

والطرفان يحتاجان إلى منتهى الحيطة والحذر طوال الوقت ، هذا ليراقب كل تصرفات وانفعالات وحتى إيماءات رجاله ، ليدرك متى وأين ستصيبهم صدمة الغرب ، ويتعلم كيف يمنعهم من السقوط فى ويلاتها عندئذ ، وذلك ليلتقط أى طرف خيط ، يتيح له تجنيد أحد السوفيت ، من الدبلوماسيين أو العلماء ، أو حتى أبطال الرياضة ، على أمل أن يصنع منهم عيونًا وآذانًا فى المستقبل ، داخل أسوار الاتحاد السوفيتى الفولاذية ..

وسياسة السوفيت دائمًا واضحة صارمة حازمة ، فى هذا الشأن ..

وليس لديهم سوى علاج ناجع واحد ، لصدمة الغرب هذه ..

الموت ..

فالسوفيتى الميت ، هو سوفيتى مخلص لوطنه ، لا يمكن أن يخونه ، أو يمنح خصومه أية معلومات بشأنه ..

هذا مبدؤهم ..

وهذا أسلوبهم ..

ولنصف دقيقة تقريبًا ، دار كل هذا فى أذهان الرجال ، الذين يلتقون حول مائدة الاجتماعات فى ( لانجلى ) ، قبل أن يعتدل أحدهم ، قائلاً :

ـ إذن فذلك السوفيتى صادق ومخلص فى عرضه ..

أشار ( جانسن ) بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ ومخاطر أيضًا ، فوفقًا لما قالته تلك الفرنسية ، لم تلتق



به سوى مرتين فحسب ، وعلى الرغم من هذا ، فقد منحها ثقته التامة فى المرة الثانية ، وأعطاها تلك الورقة ؛ لتجرى اتصالها مع مندوبنا فى ( باريس ) .

هزّ أحد الرجال رأسه ، وهو يقول :

ـ ليس أمامه سوى هذا ؛ فالنظام الأمنى للسوفيت ، فى ( أوروبا ) الغربية ، صارم للغاية فى هذا الشأن .. إنهم يسمحون لمسئولى سفاراتهم بالخروج للمتعة وقضاء السهرات ، مرة واحدة أسبوعيًا ، وخلال هذه المرة تتم مراقبتهم ومتابعتهم بمنتهى الدقة ، هم وكل من يتصلون به ، ومن المؤكد أنهم لن يسمحوا له بمراقصة ساقية الملهى الفرنسية هذه لمرة ثالثة ؛ خشية أن تربطه بها علاقة حب ، تسقطه فى براثن صدمة الغرب .

أومأ ( جانسن ) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ هذا يقودنا إلى أنه ذكى للغاية ، ويثق فى نفسه إلى حد كبير ، وفى قدرته على الحكم على المواقف والأشخاص ؛ فمن المؤكد أنه قد وضع خطته كلها ، وعند مقابلته الأولى لتلك الفرنسية ، وأنه أخفى تلك الورقة ، التى سلمها إياها ، لتوصيلها إلى ملحقنا العسكرى فى ( باريس ) ، بوسيلة عبقرية ؛ لتفلت من عمليات تفتيش ما قبل السهرات ، فى السفارة السوفيتية هناك .

تساءل أحد الرجال :

ـ أيعنى هـذا أنهـم يفتشـونهم دومًا ، قبل الخروج إلى السهرات ؟!

أومأ الكولونيل ( جانسن ) برأسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ وبعد عودتهم منها أيضًا .

ثم مطّ شفتيه ، مضيفًا :

ـ السوفيت صارمون للغاية ، بالنسبة لحماية أمنهم .

مضت لحظة من الصمت ، بعد هذا القول الأخير ، ثم لم يلبث أحد الرجال أن قطعه ، وهو يتساءل فى قلق :

ـ ألا يوجد أى احتمال للخداع ؟!

قلب ( جانسن ) ، متسائلاً :

ـ وماذا سيربحونه ؟!

دار التساؤل فى عقولهم جميعًا لبضع لحظات ، إلا أن أحدهم لم ينبس ببنت شفة ، فعـاد ( جانسن ) يتراجع فـى مقعده ، وقال بمنتهى الحزم :

ـ تبدو لى فرصة مثالية ؛ للفوز بمفتاح شفرة الكود ( ألفا ) ..



وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ وأخيرة أيضًا .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يدلوا جميعًا برأيهم فى هذا الشأن ..

وبعد أقل من ساعة واحدة ، صدر القرار ، وتم اعتمـاده بالفعل ..

وكانت هذه لحظة البداية ..

بداية عملية الكود ( ألفا ) ..

الحقيقية .

* * *

# ٤ـ شروط اللعبة ..

● اتسعت عينا الفرنسية (برجيت) .. عن آخرهما ، وحملتا دهشة الدنيا كلها ، وهى تحدِّق فى الميجور (كوريل) ، رجل المخابرات الأمريكى ، الواقف عند باب شقتها فى قلب (باريس) ، فابتسم هذا الأخير ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ ألن تسمحى لى بالدخول ؟!

سألته فى عصبية :

ـ كيف عرفت أين أقيم ؟! إننى لم أترك عنوانى .

أزاحها جانبًا فى هدوء حازم ، ودلف إلى شقتها الصغيرة ، وهو يقول :

ـ أو حتى اسمك كاملاً ... إنك لم تتركى خلفك أية معلومات ، يمكن أن تساعدنا على الوصول إليك .. ولا حتى اسم الملهى ، الذى تعملين فيه .

سألته ، وهى تغلق الباب خلفه :

ـ كيف توصلتم إلىَّ إذن ؟!



استدار إليها ، قائلاً فى صرامة :

ـ هل سنضيع الوقت كله ، فى مناقشة هذه الجزئية التافهة .

بدت شديدة العصبية ، وهى تلقى نظرة على ساعتها ، التى لم تبلغ عقاربها السابعة صباحًا بعد ، والتقطت واحدة من سجائرها ، وهى تسأله فى توتر :

ـ ماذا تريدون منى ؟! لقد أخبرتكم كل ما لدى .

أجابها فى صرامة ، وهو يجلس على أول مقعد صادفه :

ـ ليس تمامًا .

أشعلت سيجارتها ، قائلة فى عصبية :

ـ اسمع يا هذا .. لقد التقيت بالسوفيتى (أيجور) مرتين فحسب ، ولكنه شديد الوسامة ، ويتحدَّث الفرنسية بطلاقة ، ويجيد كلمات الحب ، التى يهمس بها فى أذنى ، بأعذب مما يفعل أى باريسى عرفته ، فى حياتى كلها ، وأعترف أننى قد وقعت فى غرامه ، عندما ضمنى إلى صدره ، وهو يراقصنى فى الملهى ، بعد انتهاء دوام عملى هناك ، وفى المرة الثانية ، كنت أنتظره بكل لهفة الدنيا ، ولقد راقصنى طويلاً آنذاك ، وبثنى كلمات الحب والغرام ، على نحو أذاب مشاعرى كلها ، فأخبرته أننى أود قضاء عمرى كله معه ..

وتوقَّفت لتلتقط نفسًا من سيجارتها ، ولكن الأمريكى ظل صامتًا ، يستمع إليها فى اهتمام ، حتى تابعت بنفس العصبية :

ـ عندئذ ، أخبرنى بأمره .

سألها ( كوريل ) ، فى هدوء شديد :

ـ وماذا أخبرك بالضبط ؟!

كانت قد شرحت له الأمر كله ، عندما التقت به فى مكتبه ، فى السفارة الأمريكية فى ( باريس ) ، إلا أنها لم تمانع فى أن تقول :

ـ أخبرنى أنه مسئول الشفرة ، فى السفارة السوفيتية ، وأنه يرغب فى الفرار إلى الغرب ، منذ وقعت عيناه علىّ ، ولكنه واقع تحت مراقبة شديدة طوال الوقت ، وأن فرصته الوحيدة ، هى فى أن يعاونه بعض الأصدقاء ..

نفثت دخان سيجارتها فى قوة ، قبل أن تتابع فى عصبية بلغت مداها :

ـ وبعدها أعطانى الورقة ، وطلب منى القدوم إليكم .

اعتدل ( كوريل ) ، يسألها فى اهتمام :

ـ وهل أخبرك أنه سيلتقى بك مرة أخرى ؟!



هزَّت رأسها نفيًا فى قوة ، وهى تقول :

ـ فقط لو نجح فى الفرار ؛ فوفقًا لقوله ، لن يسمح رجال الأمن ، التابعون للسفارة ، باختيار الملهى نفسه لثالث مرة ، حتى لاتحدث ألفة منتظمة ، بين مسئوليهم والمكان ، والأرجح أنهم سيختارون ملهى آخر ، مساء السبت القادم ، وربما فى الناحية الأخرى من المدينة .

تطلَّع إليها ( كوريل ) بضع لحظات ، وكأنما يتيقَّن من صراحتها وصدقها ، قبل أن ينهض من مقعده ، قائلاً :

ـ فليكن .. سنجرى نحن اتصالنا به ، بوسائلنا الخاصة ، أيًا كان الملهى ، الذى سيقضون سهرتهم فيه ، مساء السبت القادم .

سألته ، وهى تنقل سيجارتها إلى يدها الأخرى فى عصبية :

ـ هل ستعاونونه على الفرار ؟

سألها فى هدوء :

ـ هل يعنيك هذا كثيرًا ؟!

قالت فى حدة :

ـ لماذا فعلت ما فعلت فى رأيك ؟!

ابتسم ابتسامة باردة ، واتجه إلى باب شقتها ، وهو يقول ، بكل الحزم والصرامة :

ـ دورك لم ينته بعد .

سألته فى دهشة قلقة :

ـ وما الذى يفترض أن أفعله الآن ؟!

استدار إليها بكل الصرامة ، قائلاً بلهجة ، آمرة :

ـ أن تختفى تمامًا .

ارتجفت أطرافها ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وسقطت سيجارتها المشتعلة من بين أصابعها ، وهى تهتف فى هلع وارتياع .

ـ أختفى ؟!

أجابها ، وهو يغادر الشقة ، دون أن يلتفت إليها :

ـ أبلغى النادى أنك مريضة ، أو أن أحد والديك قد لقى مصرعه ، أو حتى تقدّمى باستقالتك .. المهم أن تغادرى ( باريس ) ، قبل أن تبدأ العملية .

هتفت به مذعورة .



ـ أغادر ( باريس ) إلى أين ؟!

ـ سيخبرك رجالنا بهذا ، وهم يعاونونك على المغادرة .

لاحظت فى تلك اللحظة فقط ، وجود سيارة فرنسية صغيرة أمام المبنى ، وإلى جوارها سائق ضخم ، فرنسى الملامح ، فامتقع وجهها ، وهى تسأله :

ـ هل تقصد أننى سأذهب إلى مكان آخر ، أم إلى عالم آخر ؟!

استدار إليها ، قائلاً فى صرامة :

ـ امنحينا ثقتك .

ثم عاد يلتفت بعيدًا ، ويواصل طريقه مبتعدًا ، فى اللحظة نفسها التى اتجه فيها السائق الضخم نحو منزلها ، فسرت فى جسدها قشعريرة أخرى باردة كالثلج ، وهى تطفئ السيجارة ، التى سقطت من يدها أرضًا ، وكل ذرة فى كيانها تدرك أن الأيام المقبلة ستكون مختلفة حتمًا ..

مختلفة تمامًا ..

أما الميجور ( كوريل ) ، فقد استقلّ سيارة أخرى ، ذات أرقام فرنسية عادية ، وانطلق بها عبر شوارع باريس ، وهو يراجع كل ما أخبرته به ( برجيت ) ، فى لقائهما الأوّل ..

فالسوفيتى (شلينكو) لديه شروط محدودة ، فى هذه اللعبة ..

الفرار إلى الغرب ..

وهوية جديدة ..

ومليون دولار نقدًا ..

وكل هذه الشروط السابقة لم تكن تقلق جهاز المخابرات الأمريكى ، أو تثير لديه أدنى حفيظة كانت ..

فوفقًا للميزانيات المتاحة ، كان ينبغى إنفاق خمسة أضعاف هذا المبلغ ، للحصول على شفرة الكود ( ألفا ) ، بالوسائل التقليدية المتاحة ..

والأمران الآخران يمكن تدبيرهما فى سهولة ..

ولكن المشكلة كلها كانت تكمن فى الشرط الرابع ..

الشرط الذى يجعل العملية بأكملها صعبة وعسيرة ..

بل وبالغة الخطورة ..

إلى أقصى حد ممكن .

★ ★ ★

## ٥ ـ المحترفون ..

● طالع مدير المخابرات المركزية الأمريكية كل الأوراق ، التى قدمها إليه الكولونيل ( جانسن ) ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، متسائلاً :

ـ لا يمكننا التنازل عن فرصة كهذه بالتأكيد ، ولكن حدثنى عن ذلك الشرط الأخير ، الذى تقول : إنه يجعل العملية بالغة الحساسية والخطورة .

أشار ( جانسن ) بسبَّابته ، قائلاً .

ـ الوقت يا جنرال .. الوقت .

مال الجنرال إلى الأمام ، يسأله فى اهتمام قلق :

ـ ما مشكلة الوقت بالضبط يا كولونيل ؟!

التقط ( جانسن ) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ ( أيجور شلينكو ) سيقضى أعياد الميلاد فى ( موسكو ) .

التقى حاجبا الجنرال ، وهو يتساءل :

ـ إجازة ؟!

أجابه بمنتهى الحزم :

ـ بل نقل إلى مركز الشفرة الرئيسى هناك .

ازداد انعقاد حاجبى الجنرال فى شدة ، وتراجع فى مقعده بمنتهى البطء ، دون أن يرفع عينيه عن ( جانسـن ) ، الذى تابع :

ـ وهذا يعنى حتمية إتمام العملية ، قبل الرابع والعشـرين من هذا الشهر يا جنرال .

أدار الجنرال عينيه إلـى نتيجـة الحـائط الكبيرة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ ولكننا فى مساء التاسع عشر من الشهر .

أشار ( جانسن ) بسبّابته مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ فى ( أوروبا ) أصبحوا فى العشرين منه يا جنرال .

التفت إليه الجنرال بنظرة قاسية ، فتابع فى سرعة :

ـ إنهم يسبقوننا بعدة ساعات ، نظرًا لفارق التوقيت ..

خُيِّل إليه أن حاجبى الجنرال الكثين قد امتزجا ، من شـدة انعقادهما ، وهو يدرس الموقف كله بمنتهى الدقة ، قبـل أن يحك ذقنه بسبّابته ، مغمغمًا :



ـ إنهم الآن فى صباح الجمعة إذن ، وآخر فرصـة للفوز بذلك السوفيتى هى مساء السبت .. يا له من مأزق !

أطلق ( جانسن ) زفرة ملتهبة ، مـن أعمـق أعماق صدره ، وهو يقول :

ـ الوقت لا يكفى حتى لإرسال فريق ، من أفضل رجالنـا ، إلى هناك .

أشار الجنرال بيده هذه المرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا ينبغى أن نفكِّر حتى فى هذا .

سأله ( جانسن ) :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

عاد الجنرال يتراجع فى مقعده ، ويحك ذقنـه بسبّابته ، ويغرق فى تفكير عميق ، غمغم خلاله :

ـ ( كوريل ) هو رجلنا الوحيد فى ( باريس ) الآن .

أومأ ( جانسن ) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ والسوفيت هناك يحفظونه عن ظهر قلب .

غمغم الجنرال :

ـ أمر طبيعى .

وصمت لحظة ؛ ثم أضاف :

ـ نحن أيضًا نعرف كل رجال أمنهم هناك .

همهم (جانسن) بكلمة غير مفهومة ، تجاهلها الجنرال تمامًا ، وهو يعود إلـى تفكـيره العميـق ، الـذى احترمـه (جانسن) تمامـًا ، فلـم ينبس خلالـه بحرف واحد ، حتـى اعتدل الجنرال فجأة ، متسائلاً بمنتهى الاهتمام :

ـ أين (ميريت) الآن ؟!

أجابه (جانسن) فى سرعة :

ـ لم تنته بعد من عملية (برلين) .

سأله ، فى اهتمام أكثر :

ـ وماذا عن (إدوارد) ؟!

تساءل (جانسن) فى حذر ، لم يكن له ما يبرّره :

ـ (إدوارد شابلن) ؟!

أجابه الكولونيل فى صرامة :

ـ ومن غيره ؟!

هزّ (جانسن) كتفيه ، مجيبًا :



ـ إنه يقضى تلك الفترة التدريبية ، فى المخابرات البريطانية ، وهم يقولون إنه ..

قاطعه الجنرال فى حزم :

ـ سيبهرهم حتمًا ؛ فذلك الشاب يمتلك عقليـة مخابراتيـة مدهشة ، ولديه قدرة غير محـدودة علـى الابتكـار ، واختيـار الوسائل الناجحة ، والأساليب التى لم تختبر من قبل .

غمغم (جانسن) :

ـ بالتأكيد يا جنرال .. بالتأكيد .

ضرب الجنرال سطح مكتبـه بقبضته ، على نحو انزعـج معه (جانسن) ، وقال فى صرامة :

ـ (إدوارد شابلن) هو أفضل شخص ، يخطّط لعمليـة سريعة وخطيرة كهذه يا (جانسن) .. أبرق إليه فورًا ، واطلب منـه أن يترك كل ما أمامه ، ويستقل أول طائرة إلى (باريس) ، واطلب من (ميريت) أن تلحق به هناك .

ارتفع حاجبا (جانسن) ، فى دهشة مذعورة ، وهتف :

ـ (ميريت) ؟! ولكن عملية (برلين) ..

قاطعه الجنرال بمنتهى الصرامة :

ـ فلتذهب عملية (برلين) إلى الجحيم .. السوفيت يمكنهم أن ينتظروا هناك ليومين أو ثلاثة ، أما نحن ، فسنستحق الموت بأبشع وسيلة ممكنة ، لو أضعنا هذه الفرصة النادرة ، للحصول على مفتاح الكود ( ألفا ) .

ثم شدّ قامته على مقعده ، وهو يضيف :

ـ نفذ الأوامر يا كولونيل .. أريد أن يصل ( شابلن ) و(ميريت ) إلى ( باريس ) ، فى منتصف نهار الجمعة .. بتوقيت ( أوروبا ) .

اعتدل ( جانسن ) ، وشدّ قامته بدوره ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا جنرال .

قالها ، ودار على عقبيه ، وانطلق لتنفيذ الأوامر فورًا ..

كان يدير عملية ( برلين ) بنجاح ، طوال الأسابيع الستة السابقة ، ويزعجه بشدة أن يتم إيقافها الآن ، إلا أنه كان يتفق تمامًا مع الجنرال ، فى أن تحصل عملية الكود ( ألفا ) على الأولوية ..

الأولوية المطلقة ..



لذا فما أن وصل الكولونيل ( جانسن ) إلى مكتبه ، حتى بدأ شبكة اتصالاته على الفور ..

وفى ( لندن ) ، تلقّى رجل المخابرات الأمريكى الشاب ( إدوارد شابلن ) برقية رسمية مشفرة ، فى نفس اللحظة التى تلقت فيها زميلته ( ميريت سان جورج ) اتصالاً هاتفيًا فى ( برلين ) ، يحمل التعليمات نفسها .. وفى لحظة واحدة تقريبًا ، استقل كلاهما طائرته ..

وانطلقا إلى هناك ..

إلى ( باريس ) ..

وفى منزل آمن ، تم انتقاؤه فى منطقة هادئة بعيدة ، وحى راق أنيق ، من أحياء ( باريس ) ، اجتمع الميجور ( رونالد كوريل ) بالاثنين ، وشرح لهما الأمر كله ، مع دقات الساعة الثانية ، من ظهر الجمعة ، فتراجعت ( ميريت ) فى مقعدها ، وقالت فى هدوء عجيب :

ـ أمامنا يوم ونصف اليوم فحسب إذن .

سألها ( كوريل ) فى قلق :

ـ أهى فترة قصيرة إلى هذا الحد .

ابتسمت ابتسامة غامضة ، لم يفهم فحواها بالضبط ، فى حين اعتدل ( إدوارد ) فى وقفته ، وقال فى حزم :

ـ إنها تكفى .

ثم أشار بسبَّابته ، مستطردًا :

ـ خاصة وأن لدى خطة ..

قالها ، ثم شرح لهما خطته ، التى بدت لهما بسيطة وعبقرية ومدهشة ..

بحق ..

★ ★ ★

# ٦ ـ الوصــــية ..

● « آخر سهرة نقضيها فى ( باريس ) يا ( أيجور ) .. » .

نطق أحد زملاء مسئول الشفرة السوفيتى ( أيجور شلينكو ) العبارة ، وهو يبتسم ابتسامة باهتة ، داخل مبنى السفارة السوفيتية فى ( باريس ) ، فرسم ( أيجور ) على شفتيه ابتسامة دبلوماسية ، تدرَّب عليها طويلاً ، وهو يقول :

ـ هذا أفضل .. لقد اشتقت كثيرًا للوطن .

تساءل زميله فى خبث :

ـ حقًّا ؟!

فى الظروف العادية ، كان ( أيجور ) سيلقى محاضرة هادئة ، حول حب الوطن ، والانتماء ، والشعور بالغربة ، دون أن يشير بالطبع إلى والديه ، اللذين يحتفظ بهما رجال المخابرات السوفيتية كرهينة ؛ لضمان عودته إلى ( موسكو ) ، وعدم فراره إلى الغرب ، إلا أنه ، وفى هذه المرة بالذات ، اكتفى بابتسامة بسيطة ، وأشاح بوجهه كله ؛ ليخفى ذلك الانفعال الجارف ، الذى تموج به نفسه ، والذى يخشى أن

يطفو على ملامحه ، ولو لحظة من الزمان ، فيلتقطه واحد من صقور الأمن السوفيت ، الذين يراقبونهم طوال الوقت ، وتثور فى أعماقه بادرة ولو ضئيلة من الشك ، تكون فيها نهايته ، أو نهاية كل طموحاته وأحلامه على الأقل ..

والواقع أنه لم يكن يدرى كيف سارت الأمور فى الخارج ، منذ التقى بالحسناء ( برجيت ) ، وهمس فى أذنها بما يريد ، ودس تلك الورقة الصغيرة ، بين أصابعها الرقيقة .

كانت مخاطرة حقيقية أن يفعل هذا ..

ولكنها كانت ملاذه الأخير ..

إنه لن يحتمل أبدًا فكرة العودة إلى ( موسكو ) ، بعد أن شاهد كيف يحيا الناس فى الغرب ..

وفى ( باريس ) بالتحديد ..

( باريس ) ، عاصمة النور والفن والجمال ، كيف يمكن مقارنتها بمدينة ( موسكو ) ، بأى حال من الأحوال ؟!

ثم إنه يحلم بالفرار إلى الغرب ، منذ سنوات طوال ..

يحلم بهذا ، منذ بدأ والده المسن يحدثه عن الحياة فى الغرب ..



فوالده كان أيضًا دبلوماسيًا ، وضابطًا سابقًا ، قاتل الألمان ، فى الحرب العالمية الثانية ، وانتصر عليهم ، وغزا عاصمتهم ، ورأى كيف يعيشون ..

وكيف يعيش البريطانيون ..

والأمريكيون ..

والفرنسيون ..

وبعد اضطراره للعودة ، إلى ( موسكو ) ، وإلى الشيوعية التى تحكم كل خطوة فيها ، لم يفارقه حلم الغرب أبدًا ..

وكضابط محنك ، ودبلوماسى فيما بعد ، راح يبث الحلم لابنه الوحيد ، فى هدوء وحكمة ، ويوصيه دومًا بكتمانه فى أعماقه ، بل وينصحه بإبداء شديد اهتمامه وانتمائه للمبادئ الشيوعية ، وقادة الحزب ، وجنرالات الجيش والأمن ..

يمكن القول إذن بأن خطة فرار ( أيجور ) إلى الغرب ، قد بدأ الإعداد لها ، منذ عشر سنوات كاملة ..

وتحت إشراف والده ورعايته ، تطوَّرت علاقات ( أيجور ) ، وتحسَّنت ، وأصبح جنديًا نشطًا ، وخبير شفرة لا يشق له غبار ..

ثم تم نقله إلى السفارة السوفيتية فى ( باريس ) ..

وعشية سفره ، جلس معه والده لست ساعات كاملة ، ليضعا معًا خطة اتصاله بالأمريكيين ..

وفراره إلى الغرب ..

وفى تلك الليلة ، وبعد أن اتفقا على كل التفاصيل ، واطمأن ( إيفانوف شيلنكو ) إلى أن ابنه قد حفظها عن ظهر قلب ، أمسك كتفيه فى قوة ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ اسمعنى جيدًا يا ( أيجور ) .. عندما يرسلونك إلى الغرب ، سيحتفظون بنا ، أمك وأنا هنا ؛ كوسيلة للضغط عليك ، وإجبارك على العودة .

واغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يضيف :

ـ إياك أن تفعلها يا ولدى .. إياك أن تعود .. لا تفكرً فينا أنا وأمك .. الموت أفضل لنا ، من هذه الحياة القاسية ، التى نحياها هنا .. سعادتنا الوحيدة ستكون فى أن تفرّ أنت ، ابننا الوحيد ، من هذا الجحيم الأبدى .. افعلها إذن يا ( أيجور ) .. افعلها وفرّ إلى الغرب ، دون أن تلتفت خلفك لحظة واحدة .

ليلتها غمغم ، بكل توتر الدنيا :



ـ ولكن يا أبى ، كيف سيمكننى أن ..

قاطعه والده عندئذ ، بكل حزم الدنيا :

ـ قلت لك لا تفكرً يا ولدى .. لا تتردَّد لحظة واحدة ، إذا ما حانت لك الفرصة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ فأنا وأمك ميتان لا محالة ، فى كل الأحوال .

حاول لحظتها أن يقول أى شىء ..

أن يناقش ..

أو يعترض ..

أو حتى يستنكر ..

ولكن والده لم يمنحه الفرصة ..

لقد وضع أصابعه على شفتيه ، وهو يقول فى حزم :

ـ إننى أحتفظ بكبسولتى ( سيانيد ) ، من أيام الحرب .

شهق ( أيجور ) لسماع هذا ، فتابع والده بنفس الحزم :

ـ وسنتناولهما معًا ، لحظة أن تنجح فى الفرار إلى الغرب .. أو لحظة أن تعود منه إلى هنا ..

ومال نحوه أكثر ، مضيفًا :

ـ إلى الجحيم .

استعاد ذهن (أيجور) أدق تفاصيل ذلك الحديث ، وهو يعقد رباط عنقه ، ثم ينحنى ليلتقط حذاءه ، ويختلس النظر فيما حوله ، ثم يضغط جزءًا خفيًا من كعبه ، ويزيحه فى رفق ، ليدس ورقة صغيرة ، فى تجويفه المحدود .. ورقة تحوى ، بخط بالغ الدقة ، مفتاح الشفرة ..

شفرة الكود ( ألفا ) ..

وبمنتهى الحذر والدقة ، أعاد الكعب إلى موضعه ، وثبته جيدًا ، ثم ارتدى حذاءه ، ونهض واقفًا ، وقال فى حسم :

ـ أنا مستعد .

لم يكن يعلم ما حدث ، طوال الأسبوع السابق ، ولكنه كان يأمل أن تكون (برجيت) على قدر المسئولية ، التى استشفها من حديثه معها ، ومن علم دراسة الملامح البشرية ، الذى لقنه إياه والده سرًا ، طوال عشر سنوات كاملة ..

كل ما كان يأمله هو أن اكون قد ذهبت بالورقة إلى الأمريكيين ..

فقط ..



فالكلمة التى أرسلها إليهم ، ستجذب انتباههم حتمًا ، وستجعلهم يدركون طبيعة موقعه ومعلوماته جيدًا ..

سيدركون أنه مسئول عن الشفرة ، وعن مطالعة مكاتباتهم السرية أيضًا ؛ بدليل أنه يعرف الرمز ، الذى أطلقوه على شفرتهم السرية المعقدة والمطورة الجديدة ..

رمز الكود ( ألفا ) ..

الأمريكيون وحدهم يستخدمون هذا المصطلح ؛ لتعريف الشفرة الجديدة .. ومعرفته لهذا ستجذبهم حتمًا ..

وبشدة ..

المهم أن تكون (برجيت) قد أجرت الاتصال المطلوب ..

« أأنتم مستعدون ؟! »

نطق مسئول أمن السفارة السؤال ،، بصوته الخشن ، ولهجته الجافة القاسية ، وهو ينظر فى وجوه الشبان الثلاثة ، الذين سيخرجون للسهر ، فى ليلة السبت ، فأجاب ثلاثتهم بالإيجاب ، مما جعله يتراجع ، ويشير بيده إلى ثلاثة من رجاله ، اندفعوا يفتشونهم بأسلوب غليظ ، احتمله الثلاثة فى صبر ، حتى انتهى التفتيش ، وغمغم ( أيجور ) ، وكأنما يعبر عن ارتياحه .

ـ إنها سهرتنا الأخيرة هنا .

لم يدر لماذا نطقها فى هذه اللحظة بالذات ، إلا أنه لم يكد يفعلها ، حتى أدار مسئول الأمن عينيه إليه ، بأسلوب حاد صارم ، ورمقه بنظرة قاسية طويلة ، قبل أن ينخفض بصره فجأة إلى قدميه ..

وإلى حذائه بالتحديد ..

وهنا ، سقط قلب ( أيجور ) بين قدميه ..

وبمنتهى العنف .

* * *

## ٧ ـ أوَّل الخيط ..

● لم يتوقف قلب ( أيجور شلينكو ) ، مسئول الشفرة ، فى السفارة السوفيتية فى ( باريس ) ، عن الخفقان لحظة واحدة ، بمنتهى الشدة والعنف ، وهو يجلس داخل سيارة السفارة الكبيرة ، التى تنقله مع زميليه ، ومسئولى الأمن ، إلى ذلك الملهى الصغير ، فى قلب ( باريس ) ؛ لقضاء آخر سهرة سبت ، قبل العودة إلى ( موسكو ) ..

وعلى الرغم من ملامحه الهادئة ، كانت كل ذرة فى كيانه ترتجف ، وهو يستعيد ذكرى تلك اللحظة الرهيبة ، التى رمقه فيها مسئول أمن السفارة بنظرة قاسية ، قبل أن يهبط بعينيه إلى حذائه ، الذى يخفى فيه مفتاح شفرة الكود ( ألفا ) ..

لحظتها تصوَّر أن أمره قد انكشف ..

وأن مسئول الأمن قد فطن للعبة كلها ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد كتم كل مشاعره فى أعماقـه ، وحافـظ على تماسكه النسبى ، وهـو يتمنى أن تمضـى اللحظـة بأى ثمن ، حتى قـال مسئول الأمن ، فى صرامـة شـديدة :

ـ مادامت ليلتكم الأخيرة هنا ، فلِمَ لم تهتم بحذائك المترب ، أيها الرفيق (شلينكو) ؟!

هوى لحظتها قلبه بين قدميه ، وشعر بخفقاته فى كل عرق من عروقه ، وهو يقول فى توتر :

ـ سأهتم به فورًا ، أيها الرفيق (كلاشكوف ) .

رمقه (يورى كلاشكوف ) ، مسئول أمن السفارة السوفيتية ، بنظرة صارمة قاسية أخرى ، وهو يقول :

ـ الباريسيات يبغضن إهمال الأحذية ، ولانريد أن نمنحهم انطباعًا سيئًا عن حضارتنا وثقافتنا .

التقط منديله ، وانحنى يزيل الغبار عن حذائه ، وهو يقول :



ـ بالتأكيد أيها الرفيق ( كلاشكوف ) .. بالتأكيد .

كم بدت لـه تلك الذكرى بغيضـة ، وهـو يسترجعها ، وعينـاه تلتهمـان أضـواء وأنـوار (بـاريس ) ، والسيارة السوفيتية تقطعها فى سرعة متوسطة ، بدت لـه بطيئـة للغاية ، من شدة لهفته لبلوغ الملهى ، ومعرفة نتاج رسالته إلى هؤلاء الأمريكيين ..

كان يدرك أن تغيير الملهى لن يصنع فارقًا ..

الأمريكيون سيتبعون سيارة السـفارة حتمًـا ، بمنتهـى الحذر والذكاء ، ليعرفوا وجهتها ..

هذا لو أنهم تسلموا رسالته ..

وقرروا قبول عرضه ..

ولأنه ينتظر ، بكل لهفة الدنيا ، فقد راحت الثوانى تمضى كالدقائق ، فى حين بدت الدقائق أشبه بالساعات الطوال ..

وطوال الوقت ، كان (يورى كلاشكوف ) يتابع الطريق ، ويدير عينيه فى وجوههم ، ويكرِّر تعليماته بلا ملل ..

الجميع سيجلسون على مائدة واحدة ..

الكل ينبغى أن يظل فى مجال الرؤية ، حتى فى أثناء مراقصة الباريسيات ..

لا مشروبات كحولية ..

لا خروج منفرد من المكان ..

وفى كل مرة ، كان ( كلاشكوف ) يقرن تعليماته هذه بنظرة قاسية ، ولهجة تحمل وعيدًا آمرًا مخيفًا ..

والكل كان يعلم أنه لن يسمح بأى تجاوز ..

وأنه لن يتردَّد لحظة واحدة ، فى نسف رأس أى شخص منهم ، يتجاوز الأوامر والتعليمات ، مهما كانت الظروف والملابسات ..

ومهما كان الثمن ..

هكذا عرفوه دومًا ..

قاس ..



صارم ..

عنيف ..

مخيف ..

وبارد كالثلج طوال الوقت ..

وعندما توقَّفت سيارة السفارة السوفيتية ، أمام الملهى الباريسى الصغير ، لم ينس ( يورى كلاشكوف ) تكرار أوامره للمرة الأخيرة ، قبل أن يخرج مسدسه الضخم ، ويجذب مشطه فى قوة ، أمام عيونهم جميعًا ، ثم يعيده إلى حزامه ، ويدير عينيه فى وجوههم مرة أخرى ..

وفى خطوات منتظمة ، وعلى نحو أشبه بطابور عسكرى صغير ، دلف الجميع إلى الملهى الباريسى ..

( أيجور ) ، وزميلاه ، و( كلاشكوف ) ، وثلاثة من رجال أمن السفارة ، ضخام الجثة ، قساة الوجوه ..

عدد رجال الأمن إذن كان يفوق عدد الموظفين ..

ويا لها من سهرة !

ووفقًا للأوامر ، التف الكل حول مائدة واحدة ، وراحوا يراقبون الراقصين والراقصات فى حذر ..

وعلى الرغم من لهفته الشديدة ، وفضوله الملتهب ، وقلبه الذى يخفق بضعفى سرعته المعتادة ، بدا ( أيجور ) أقلهم اهتمامًا بما يحدث حوله ، وهو مسترخ فى مقعده ، يراقب مع حوله ، و ....

« هل ستقضى ليلتك جالسًا أيها الوسيم ؟! »

اعتدل ( أيجور ) بسرعة مع القول ، ولكن ( كلاشكوف ) أشار إليه بيده فى صرامة ، وهو يقول :

- إنها لاتقصدك أنت ..

انتبه ( أيجور ) ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى أن الفرنسية خمرية اللون ، التى نطقت العبارة ، كانت توجهها إلى زميله ، الجالس إلى اليسار ، فتمتم :

- يا للخسارة .

نطقها بالفرنسية ، فضحكت الباريسية خمرية اللون ، وقالت فى مرح :



- لاتبتئس يا هذا .. لى صديقات أخريات هنا .

لم تمض دقائق على قولها ، حتى كان ( أيجور ) وزميلاه يراقصون ثلاثة باريسيات فاتنات ، ورجال الأمن الأربعة يراقبونهم كالصقور ، وأحدهم يغمغم فى حسد واضح :

- وحدهم لهم الحق فى المرح ، أما نحن ..

قاطعه ( كلاشكوف ) ، بكل الصرامة والقسوة :

- نحن نؤدى واجبنا أيها الرفيق .

غمغم رجل الأمن فى ارتباك :

- بالطبع أيها الرفيق الرئيس .. بالطبع .

وتمتم آخر :

- ويا له من شرف !

أضاف الثالث :

- بالتأكيد .

رمقهم ( كلاشكوف ) بنظرة ازدراء ، وكأنه يدرك أنهم

يقولون ما لا يعنون ، ثم عاد ببصره إلى موظفى السفارة ، الذين يراقصون الباريسيات فى نطاق الرؤية المحدودة ، وراح يراقب كل انفعالاتهم ، وهمساتهم ، ولمساتهم ، و ...

وفجأة ، لاحظ تلك الفتاة ..

كانت تحمل ملامح أمريكية ، على الرغم من شعرها الأشقر ، وعينيها الزرقاوين ..

وكانت تتطلّع إلى أحد الموظفين الثلاثة ، فى اهتمام تام ..

ولسبب ما ، لعله خبرة نمت مع طول العمل ، اهتم ( كلاشكوف ) بمتابعة تلك الفتاة ، ومراقبة تحركاتها خلسة ، خاصة وقد بدت وكأنها تحوم حول موظف السفارة ، وتحاول الاقتراب منه خفية ، دون أن تثير الاهتمام ، أو تلفت الانتباه ..

وتضاعف اهتمام ( كلاشكوف ) بها ، وراح يتابعها أكثر ، وهى تقترب وتقترب .. وتقترب ..



ثم انعقد حاجبا ( كلاشكوف ) بشدة ، عندما رآها تميل نحو أذن موظف السفارة السوفيتية ، وتهمس بكلمة ما ، فى سرعة ومهارة ، قبل أن تعتدل ، وتتجه نحو دورات المياه مباشرة ..

وبحركة غريزية ، تحسَّس ( كلاشكوف ) مسدسه الضخم ، المستقر فى حزامه ، وهو يتابع الموظف ، الذى ارتبك لحظة ، ثم استعاد تماسكه ، وواصل مراقصته لفتاته بضع لحظات أخرى ، قبل أن يشير إلى حيث يجلس رجال الأمن ، معلنًا أنه فى طريقه إلى دورة المياه ، وشفتاه تحملان ابتسامة مرتبكة ، كشفت من أمره ما حاول إخفاءه ..

وفى نفس اللحظة ، التى اتجه فيها موظف السفارة نحو دورات المياه ، فى خطوات واسعة سريعة ، هبَّ ( كلاشكوف ) من مقعده ، وهتف :

- ليس بهذه البساطة .

نطقها ، ثم اندفع نحو منطقة دورات المياه ، وهو يستلّ مسدسه الضخم ، ويقتحم المكان ..

كالإعصار ..

الإعصار المدمر .

★ ★ ★

# ٨ ـ فرار ..

● للوهلة الأولى ، لم يفهم رجال الأمن السوفيت الثلاثة ما حدث بالضبط ، على الرغم من أنهم رأوا كل ما رآه رئيسهم ..

كل ما لاحظوه هو أنه قد هب من مقعده فجأة ، واستل مسدسه الضخم من حزامه ، واندفع نحو منطقة دورات المياه ، فهب ثلاثتهم من مقاعدهم بحركة حادة ، وهتف أحدهم فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه الثانى ، وهو يتابع اقتحام ( كلاشكوف ) لمنطقة دورات المياه ، على هذا النحو العنيف :

ـ لست أدرى .. ربما ..

قبل أن يتم عبارته انطلقت صرخة أنثوية من منطقة دورات المياه ، واقترنت بدوى رصاصة مكتومة ، قبل

أن تندفع فتاة حسناء من المكان ، وهى تلوّح بذراعيها ، صارخة :

ـ النجدة .. إنه يحاول الفرار .. النجدة .

ومع صرختها ، انقطعت الأضواء عن المكان بغتة ..

ولم يضع رجال الأمن السوفيت الثلاثة لحظة واحدة ..

مبادرة ( كلاشكوف ) ، ودوى الرصاصة ، وصرخة الفتاة ، وكلمة ( الفرار ) التى نطقتها ، كلها عوامل جعلتهم يستوعبون الأمر كله على الفور ..

أحد موظفى السفارة يحاول الفرار ..

وبكل قوتهم وعنفهم ، وكما تدرّبوا تمامًا ، ألقوا كل قواعد اللياقة والذوق والدبلوماسية جانبًا ، وانطلقوا وسط الظلام الدامس ، نحو منطقة دورات المياه مباشرة ..

كانت الصرخات تنطلق فى كل مكان ، والأجساد تتخبّط ببعضها ، ولكن هذا لم يوقفهم لحظة واحدة ..



لقد أزاحت قبضاتهم كل شىء ، وكل شخص عن طريقهم ، وأطاحت أجسادهم مع عنفهم بكل ما حولهم ..

ووسط الظلام ، صرخ ( كلاشكوف ) بالروسية :

ـ لقد أمسكت به .

مع صرخته ، عادت الأضواء تسطع فى المكان دفعة واحدة ، واتسعت عيون رواده عن آخرها ، وهم يحدقون فى مسدسات رجال الأمن السوفيت ، وبخاصة مسدس ( كلاشكوف ) ، الذى التصقت فوهته بمنتصف جبهة موظف السفارة ، الذى راح يرتجف كطير مبتل ، وهو يصرخ :

ـ ماذا فعلت ؟! ماذا فعلت ؟!

صرخ فيه ( كلاشكوف ) ، فى قسوة وحشية :

ـ هل كنت تتصوّر أنك قادر على خداعنا ، وعلى الفرار من هنا أمام أعيننا ، مع تلك الأمريكية الشقراء ؟!

امتقع وجه الموظف ، حتى بدا أشبه بالموتى ، وهو يقول ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف فى شدة :

ـ الفرار ؟! أى فرار ؟! وأية أمريكية ؟! لقد تبعت تلك الفرنسية إلى هنا لممارسة الحب ، كما همست فى أذنى أقسم أن هذا كل ما حدث .

ثقة ( كلاشكوف ) الشديدة فى حواسه ، أكدت لـه أن الموظف لا ينطق إلا صدقًا ، وأن ارتجافته صادقة تمامًا ، ثم إنـه أدار عينيه فيما حوله فى سـرعة ، بحثًـا عـن تلك الشقراء ، التى ذابـت وسـط المكـان ، وتصـاعدت لمحـة الغضب فى أعماقه ، و ...

« أين ( أيجور ) ؟! »

هتف بالسؤال ، بكل غضب وصرامـة الدنيا ، وهو يدير عينيه فـى المكان كلـه ، فاستدار رجالـه الثلاثـة يجوبـون الملهى بدورهم ، قبل أن يتناهى إلى أسماع الجميع صرير إطارات سيارة ، تنطلق بـأقصى سـرعتها ، فـى الشـارع الخلفى ، فصرخ ( كلاشكوف ) فى ثورة :

ـ أوقفوه .



نفذ رجال الأمن ما تدرَّبوا عليـه تمامًـا ، وبحرفيـة عاليـة للغاية ، فـاندفع أحدهم نحـو المخرج الخلفى للملهى ، فى حين انطلق ( كلاشكوف ) وآخر نحو سيارة السفارة ، التـى تقـف عنـد المدخـل الأمـامى ، وبقـى رجـل الأمـن الأخـير ، لتسـوية كل الأمـور فى المكان ، والتيقن من أن ( أيجور ) لا يختفى فى مكان ما منه ..

وفى نفس اللحظة التى بلغ فيها ( كلاشكوف ) ، ورجل الأمن الآخر ، المدخل الأمامى للملهى ، كانت سيارة أمريكية قوية تندفع من الشـارع الخلفـى ، وإطاراتهـا تطلـق صريرًا أكثر عنفًـا وقـوة ، وهـى تنحـرف فـى الشـارع الرئيسـى ، ثـم تنطلـق كالصاروخ مبتعدة ..

وخلف عجلة قيادتهـا ، لمـح ( كلاشكوف ) فـى وضـوح وجـه الشـقراء ، وقـد حمـل كـل صرامـة الدنيـا ، ورأى ذلـك الشاب ، الذى يبذل جهدًا مرتبكًا ، فى محاولة للاختباء ، فـى المقعد الخلفى ..

وصرخ ( كلاشكوف ) ، وهو يثب داخل سيارة السفارة :

ـ إنه هو .. لا تسمح له بالفرار .

ولما لم يكن الوقت يسمح بإضاعة ثانية واحدة ، انطلق رجل الأمن الآخر بالسيارة على الفور ، دون أن ينتظر عودة زميليه ..

فكما تقتضى الأوامر ، كانت الأولوية حتمًا لمنع مسئول الشفرة من الفرار ..

الأولوية المطلقة ..

وبأى ثمن كان ..

وفى منتصف الليل ، وفى قلب ( باريس ) ، عاصمة النور والفن والجمال ، بدأت المطاردة ..

أشرس مطاردة فى تاريخها كله ..

كانت الشقراء تقود ببراعة منقطعة النظير ، ورجل الأمن السوفيتى يقود باستماتة لا تعرف الفشل ..

هذا لأنه كان يعرف نتائج الفشل ..



يعرفها جيدًا ..

ويخشاها أكثر من الموت نفسه ..

ولقد ضاعف ( كلاشكوف ) من انفعالاته ، عندما لوح بمسدسه الضخم داخل السيارة ، صارخًا :

ـ إياك أن تسمح لهما بالفرار .

ضاعف رجل الأمن السوفيتى من ضغط قدمه على دواسة وقود السيارة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، وهو يستنفز كل ذرة من مهاراته وخبراته ، لينطلق خلف السيارة الأمريكية ، ويناورها ، ويطاردها ، ويلحق بها ..

كانت سيارته أكثر قوة ، فى ذلك الوقت ، من تلك السيارة الأمريكية العريقة ، التى اختارتها الشقراء لتنفيذ المهمة ..

لذا فقد راح السوفيتى يقترب منها .. ويقترب .. ويقترب ..

وكمحاولة أخيرة ، انحرفت الشقراء فى أحد الشوارع الجانبية ، وانطلقت وسط صفين من السيارات الصغيرة ، فلحقت بها سيارة السفارة السوفيتية ، و ( كلاشكوف ) يقول ، بكل المقت والغضب والإصرار :

ـ لا تحاولى أيتها الأمريكية .. السوفيت هم السوفيت .

عادت سيارة الشقراء بوثبة بارعة ، إلى أحد الشوارع الرئيسية ، ثم انطلقت عبره بأقصى سرعتها ؛ ولكن إطارات سيارة السفارة السوفيتية أطلقت صرخة إصرار ، وهى تنحرف خلفها ، ثم تنطلق لتطاردها كوحش كاسر ..

واقتربت السيارة السوفيتية ..

واقتربت .. واقتربت .. واقتربت ..

وانحرفت سيارة الشقراء فجأة ، واتجهت نحو مبنى من طابقين ، فى منتصف الشارع ، وقفزت فوق درجاته القليلة



بحركة مجنونة ، قبل أن تصطدم بمدخله ، ثم تتوقف تمامًا ..

وبصرخة ظافرة ، صاح ( كلاشكوف ) :

ـ كنت أعلم أننا سنربح حتمًا .

قالها ، فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها قائد سيارة السفارة فراملها بمنتهى القوة ، ليوقفها على مسافة متر واحد ، من سيارة الشقراء ، فوثب ( كلاشكوف ) منها كالفهد ، وشهر مسدسه ، وهو يندفع نحو السيارة الأمريكية ، صارخًا :

ـ انتهت الرحلة هنا أيتها الأمريكية .

لمحها ، وهى تعتدل جالسة فى مقعدها ،، بعد أن حماها حزام الأمان من الصدمة ، ولمح ذلك الشاب ينهض فى المقعد الخلفى ، وهو يحمى رأسه بذراعه ، و ...

وفجأة وقع بصره على الآخرين ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

ففى هذه اللحظــة فقــط ، أدرك طبيعــة المكــان ، الــذى اصطدمت به الشقراء الأمريكية ..

وكانت مفاجأة ..

مدهشة .

★ ★ ★

# ٩ ـ المفاجــــأة ..

● شعرت الباريسية الحسناء بتوتر شديد ، يسرى فى عروقها ، وهى تجلس داخل ذلك اليخت الأنيق ، فى بحر ( المانش ) ، وحاولت أن تشغل نفسها بمراقبة النجوم بعض الوقت ، قبل أن تلتفت إلى رجــل المخــابرات الأمريكى ، الجالس إلى جوارها ، وتسأله بكل توتر الدنيا :

ـ هل تعتقد أن العملية ستنجح ؟!

ظل هادئًا جامدًا ، وهو يجيبها :

ـ دعينا نأمل هذا .

لم يرضها الجواب ، فعادت تسأله فى إلحاح :

ـ العملية ستتم الليلة .. أليس كذلك ؟!

تجاهلها تمامًا هذه المرة ، فقالت فى توتر ، وكأنها تحدث نفسها :

ـ سيعيدونه إلى ( موسكو ) بعد يومين ، وهذه آخر ليلــة يمكنه أن يغادر فيهــا السفارة ، فــى ( بــاريس ) .. أى وقت أفضل من هذا ؟!

ظل الرجل على جموده وصمته ، فتابعت :

ـ ثم إنكم أتيتم بى إلى هنا ، فى هذه الليلة بالذات ، ولا يوجد أى تبرير لهذا ، سوى ..

قاطعها فى صرامة :

ـ آنستى .. أنت تتحدثين أكثر مما ينبغى .

قالت فى حدة :

ـ وأنت تتحدث أقل مما ينبغى .

أشاح بوجهه متجاهلاً إياها ، فسألته فى عصبية :

ـ أمعك سيجارة ؟!

أجاب فى صرامة خشنة :

ـ طرف السيجارة المشتعل ، يمكن رؤيته من الشاطئ الآخر ، فى ليلة كهذه .

قالت فى حدة :

ـ وأنت ترغب فى ألا يرانا أحد .. أليس كذلك ؟!

قال فى غلظة :

ـ بالتأكيد .



قالت فى عناد :

ـ سأدخنها فى أسفل .

استدار إليها فى بطء ، وداعب المسدس المعلّق تحت إبطه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ آنستى .. الرؤساء أمروا بحسن معاملتك ورعايتك ، ولكنهم أكّدوا أن نجاح العملية له الأولوية المطلقة ، بغض النظر عن أية عوامل أخرى ، لذا فإما أن تلوذى بالصمت ، حتى يتلاشى الصداع ، الذى سببته لى ، أو ...

لم يتم عبارته ..

ولكنها فهمت ما يقصده ..

فهمته عندما توقف ، ليقبض على مقبض مسدسه بكل أصابعه ، ويرمقها بنظرة بالغة الصرامة والقسوة ، جعلتها تطبق شفتيها ، وتعقد ساعديها أمام صدرها ،، ثم تشيح بوجهها إلى الشاطئ الفرنسى ، وهى تتساءل فى أعماقها : ترى أين ( أيجور ) الآن ؟! أين ؟!

فى نفس اللحظة ، التى دار فيها التساؤل فى ذهنها ، كان ( كلاشكوف ) يواجه أربعة من رجال الشرطة ، الذين يصوبون إليه مسدساتهم فى صرامة ، وأحدهم يسأل فى غضب :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

انتبه ( كلاشكوف ) ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى أن الشقراء قد اقتحمت أحد أقسام شرطة العاصمة الفرنسية ، وأثارت غضب رجاله عمدًا ، فعض شفتيه فى غضب ، وصاح بالفرنسية فى صرامة ، وهو يشير إلى أرقام سيارة السفارة الدبلوماسية :

- نحن دبلوماسيون سوفيت ، ولدينا حصانة ، وفقًا للقانون .

صاح به ضابط شرطة فرنسى فى حدة :

- سيِّدى .. إنك تشهر مسدسك ، أمام قسم شرطة فرنسى ، وهو ليس من حقك ، حتى ولو كنت تملك حصانة دبلوماسية .

صرخ ( كلاشكوف ) ، دون أن يخفض مسدسه ، الذى يصوِّبه إلى الشقراء ، داخل السيارة الأمريكية :

- إننى أحاول منع عملية اختطاف غير قانونية .. تلك الأمريكية اختطفت أحد مسئولى السفارة السوفيتية ، وأنا أطالبكم رسميًا باتخاذ ما يلزم ، لمنع حدوث هذا .

انعقد حاجبا ضابط الشرطة الفرنسى ، وهو ينقل بصره فى حذر متوتر ، بينه وبين الشقراء ، التى هتفت بفرنسية سليمة :

- لست أمريكية ، ولم أختطف أحدًا .. هذا الشاب جاء معى بملء إرادته .



صرخ ( كلاشكوف ) :

- هذا الشاب مسئول بالسفارة ، ولا يحق له أن يكون هنا معها ، حتى لو كان هذا بملء إرادته ، وحتى لو ادعت أنها ليست أمريكية .

صاحت الشقراء ، وهى ترفع يديها مستسلمة :

- أنا فرنسية المولد والجنسية ، وها هى ذى أوراقى ، تثبت صدق ما أقول .

التقى حاجبا ( كلاشكوف ) بشدة ، ولوَّح بمسدسه ، فى صرامة أكثر ، وهو يقول :

- هذا لا يعنى شيئًا .. لن نسمح لهذا الشاب بالمغادرة ، حتى لو اضطررت لقتله هنا .

صاح الضابط الفرنسى فى غضب :

- سيِّدى .. إنك تنتهك قانونًا فرنسيًا .

صرخ ( كلاشكوف ) ، بكل غضب وإصرار الدنيا :

- وأنت تنتهك نظامًا أمنيًا سوفيتيًا ، وتفسد قانونًا دوليًا ، ربما يؤدى إلى شن حرب نووية طاحنة .

والتفت إليه مستطردًا فى ثورة :

ـ أأنت مستعد لتحمّل هذه المسئولية ؟!

صمت الضابط الفرنسى لحظة ، ودرس خلالها الموقف ، قبل أن يلتفت إلى الشاب ، الجالس فى ظلام السيارة ، قائلا بكل الصرامة :

ـ سيّدى .. هل تسمح بالخروج من السيارة ؟!

غادرت الشقراء السيارة أولاً ، وهى تقول فى غضب :

ـ لست أجد مبررًا لهذا .

قال الضابط الفرنسى ، فى صرامة أكثر :

ـ هل تسمح يا سيّدى ؟!

تابع ( كلاشكوف ) حركة الشاب ، الذى استعد للخروج من السيارة ، دون أن يخفض مسدسه ، فى حين مطت الشقراء شفتيها ، وهى تغمغم فى سخط :

ـ من المؤكّد أن هذا الشاب لم يفعل شيئًا .

ورمقت ( كلاشكوف ) بنظرة غاضبة ، قبل أن تضيف ، وهى تلوّح بيدها كلها :



ـ وهو حتمًا لا يصلح كمسئول شفرة ، فى السفارة السوفيتية بالذات .

ثم قفزت إلى شفتيها ابتسامة ساخرة مفاجئة ، وهى تستطرد ، وعيناها تواجهان عينى مسئول الأمن الروسى مباشرة :

ـ فهو حتى ليس سوفيتيًا .

انعقد حاجبا ( كلاشكوف ) فى شدة ، وسرت فى عروقه موجة غضب عارمة ، وهو يحدّق فى ملامح الفرنسى الوسيم ، الذى يرتدى حلة مماثلة تمامًا لحلة ( أيجور ) ، والذى قال بالفرنسية ، وهو يقف خارج السيارة ، والحيرة تملأ ملامحه .

ـ أنا ( موريس لومباردى ) .. محاسب فرنسى ، ولست رجل سفارة سوفيتى ، أو غير سوفيتى .

وعندئذ .. فقط ، أدرك مسئول الأمن السوفيتى الخدعة ..

الخدعة الأمريكية ..

الرهيبة ..

* * *

# ١٠ ـ الباب الأمامى ..

● ارتسمت ابتسامة واسعة كبيرة ؛ على شفتى الكولونيل (سام جانسن) ، رجل المخابرات الأمريكى المخضرم ، وهو يدلف إلى مكتب رئيسه ، فى المبنى الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية ، فى (لانجلى) بولاية (فرجينيا) ، ويشير ببرقية شفرية فى يده ، قائلا :

ـ لقد فعلوها .

تألّقت عينا الجنرال ، وهو يقول فى لهفة :

ـ حقًّا ؟!

مال (جانسن) نحوه ، واتسعت ابتسامته الظافرة أكثر ، وهو يقول :

ـ (أيجور إيفانوف شلينكو) الآن على متن يختنا ، الذى يتجه تحت جنح الظلام ، إلى الساحل البريطانى ، وعندما يبلغه ، ستحمله طائرة خاصة إلى (واشنطن) مباشرة ، لتصبح شفرة الكود (ألفا) فى قبضتنا ، قبل مطلع الفجر ..

ثم ضحك ، مضيفًا :

ـ وفقًا لتوقيتنا هنا .



التقط الجنرال نفسًا عميقًا ، وقال فى ارتياح :

ـ أخيرًا .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ كيف فعلها (شابلن) و(ميريت) ؟!

ضحك (جانسن) مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ بعبقرية .

ثم جلس على أول مقعد صادفه ، وهو يضيف :

ـ (ميريت) تجاهلت (أيجور) تمامًا فى الملهى ، واتجهت إلى زميله ، وأغرته باللحاق بها فى منطقة دورات المياه ، وعندما فعل ، حدث ما توقّعه (شابلن) تمامًا ، إذ اندفع (كلاشكوف) خلفه متصورًا أنه قد كشف مؤامرة ، وفور اقتحامه للمكان ، قطع (شابلن) التيار الكهربى ، واندفع نحو (أيجور) ودفعه خارج المكان ، فى حين انطلقت (ميريت) إلى الشارع الخلفى ، حيث كان ينتظرها عميلنا الفرنسى ..

صمت لحظة ، ابتسم خلالها ، ثم تابع :

ـ من الواضح أن (إدوارد شابلن) هذا عبقرى ، فيما

يخص المشاعر والانفعالات البشرية ، فقد رتب الأمر ، بحيث تدوى رصاصة مكتومة ، ثم تصرخ فتاة بأن شخصًا ما يفر ، ليجذب انتباه الكل نحو دورات المياه ، وبعد عودة التيار ، جعل ( ميريت ) تنطلق من الشارع الخلفى بأقصى سرعتها ؛ ليجذب صرير إطارات سيارتها الانتباه ، ويدفع السوفيتى لمطاردتها فى عنف وشراسة وإصرار .

اعتدل الجنرال ، فى اهتمام وانتباه ، وهو يقول :

ـ لا أحد ينافس ( ميريت ) ، فى مطاردات السيارات .

أومأ ( جانسن ) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لهذا فقد أهدرت وقتهم ، فى مطاردة شرسة ، فى قلب ( باريس ) ، ثم قادتهم فى النهاية إلى قسم الشرطة ، لتضع لمسات الفصل الأخير ، وتستغل جنسيتها وأوراقها الفرنسية ، التى لم تتخل عنها بعد .

ابتسم الجنرال ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ عظيم .. عظيم ..

ثم عاد يتساءل :

ـ ومن أى مكان أخرج ( إدوارد ) ذلك السوفيتى ؟!



ضحك ( جانسن ) ، وهو يشير بيده ، قائلاً .

ـ هذا أفضل ما فى الخطة كلها :

ومال نحو الجنرال ، متابعًا بابتسامته الكبيرة :

ـ لقد غادرا من الباب الأمامى ، فى هدوء وبساطة تامين ، واستقلا سيارة ( إدوارد ) ، ليرقد ( أيجور ) فى مقعدها الخلفى ، وينطلق بها رجلنا ، بكل الهدوء والرصانة ، إلى هدفه الرئيسى ..

أومأ الجنرال برأسه متفهمًا ، وتراجع فى مقعده بارتياح غامر ، عَبَّرَ عن نفسه بإغلاقه عينيه واسترخاء جسده ، اللذين استغرقا دقيقة كاملة ، قبل أن يعتدل ، قائلاً بلهجته الآمرة المعتادة :

ـ انتظر حتى يصل ( أيجور ) إلى هنا ، ويسلمنا مفتاح شفرة الكود ( ألفا ) ، وينهى كل إجراءاته ، ثم أغلق هذا الملف ، وأضفه إلى دولاب العمليات الناجحة ، وأبلغ القيادة السياسية بشأنه .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ دون تفاصيل فنية بالطبع .

وجذب ملفًا تقليديًا ، ليتابع ، وكأنه ينهى الأمر كله :

ـ فالسياسيون يريدون معرفة النتائج ، دون خوض التفاصيل .. إنها ترهق أذهانهم بحق .

اتسعت ابتسامة ( جانسن ) ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا جنرال ..

ولقد سار كل شىء على ما يرام ، إلى حد ما ، فقد وصل ( أيجور شلينكو ) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، على متن تلك الطائرة الخاصة ، فى سرية تامة ، ودون أن يكشف السوفيت وسيلة فراره ، أو ينجحوا فى ربط هذا رسميًا بالأمريكيين ، الذين حصلوا على شفرة الكود ( ألفا ) ، التى مكنتهم من حل غموض مئات الرسائل ، وآلاف الاتصالات السلكية واللاسلكية ، مما منحهم طنًا من المعلومات الجديدة ..

وتساقط عشرات الجواسيس السوفيت ، فى ( أوروبا ) الغربية و ( أمريكا ) ، وبعض دول الشرق الأوسط ..



وانفتحت مغارة معلومات ( على بابا ) على مصراعيها ..

وربح الأمريكيون جولة بالغة الخطورة ، فى تاريخ الحرب الباردة ، وفى تاريخ الحروب كلها ..

صحيح أن السوفيت قد استبدلوا تلك الشفرة ، وكل شفراتهم الأخرى السابقة ، بشفرة أكثر تعقيدًا وابتكارًا ، أطلق عليها الأمريكيون هذه المرة اسم شفرة الكود ( بيتا ) ، إلا أن الخسارة كانت فادحة ...

فادحة إلى أقصى حد ..

حتى رغبتهم فى الثأر والانتقام ، خسرها السوفيت تمامًا ، فعلى الرغم من أنهم قد أخفوا تمامًا ما حدث ، إلا أن الضابط والدبلوماسى السابق ( إيفانوف شلينكو ) ، لم يكد يلمح السيارات العسكرية ، وهى تحاصر منزله الصغير ، حتى هرع إلى زوجته ( هيلجا ) ، وقال فى سعادة غامرة :

ـ لقد فعلها ( أيجور ) الصغير .. فعلها .

سألته زوجته ، بكل لهفة الدنيا :

ـ ألنت واثق من أنه قد نجح ، فى الفرار إلى الغرب ؟!

التقط ( إيفانوف ) كبسولتى ( السيانيد ) ، اللتين أخفاهما لسنوات طوال فى تجويف قطعة أثاث أثرية ، وناولها إحداهما ، قائلاً فى ارتياح واضح :

ـ نجاحه وحده يمكن أن يثير غضبهم إلى هذا الحد ..

وابتلع كبسولته ، مضيفًا :

ـ ومعلوماته ستمنحه حياة مستقرة هناك .. فى الغرب .

وعندما اقتحم السوفيت المنزل ، لم يجدوا أمامهم سوى جثتين هامدتين لرجل وامرأة ، تجاوزا الستين ، وكلاهما يحتضن الآخر فى حب ..

أما ( أيجور ) نفسه ، فقد حصل على هوية جديدة ، وعمل مستقر ، وجنسية أمريكية رسمية ، بالإضافة إلى مليون دولار نقدًا ..

وصحيح أنه لم يتزوّج ( برجيت ) أبدًا ، ولكنه ظل



يرعاها لبعض الوقت فى ( أمريكا ) ، قبل أن يختفى ، وينقطع أثره تمامًا ، مع بدء برنامج هويته السرية الأمريكية الجديدة ..

والآن ، ولولا ما كشفته الوثائق الأمريكية مؤخرًا ، وفقًا للقانون ، لما أمكننا أن نعرف أبدًا قصة رجل الشفرة السوفيتى ، الذى ذاب وسط المجتمع الأمريكى ، وانقطعت آثاره تمامًا ليضع اللمسة الأخيرة لواحدة من أهم صراعات المخابرات الأمريكية السوفيتية .

عملية الكود ( ألفا ) ..

الناجحة .

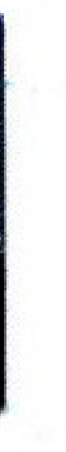
* * *

تمت بحمد الله

# روايات مصرية للجيب

## حرب الجواسيس



د. نبيل فاروق



**صراع العقول الذى يتفوق دوماً على أعتى الأسلحة والمعدات**




الثمن فى مصر ٢٠٠ قرش
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم




طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع